قطة على القمر

وقصص أخرى

الكتاب: قطة على القمر

المؤلف: أنطون كورنيا

ترجمة: فاطمة عباس

تصميم الغلاف: نور حسام الدين

تدقيق لغوي: إيمان صلاح

رقم الإيداع: 2019/28184

الترقيم الدولي: 978-977-778-209-8

نون للنشر والتوزيع

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 02-338560372

info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

أنطوان كورنيا

قطة على القمر

وقصص أخرى

ترجمة: فاطمة عباس

إلى مُورا، مع الحبِّ

على الرُغمِ من جنونهم فسوف يكونونَ عاقلين، ومع أنهم يغرقون في البحر، فإنهم سينهضون مرة أخرى، رُغم أنَّ العشاق لا يجب أن يضيعوا في الحب، فلا يمكن السيطرةُ على الموتِ.

"ديلان توماس"

قطَّة على القمرِ

كان الغسقُ ممتلئًا بالفعلِ وأنا أجلس على الأريكة القديمة في غرفة المعيشة أتناول وجبة الفطور.

لقدْ عانيتُ مِن هذا الأرق لأسابيعَ حتَّى الآن - أسابيع وأنا مستلقٍ قلقًا على الفراش وعيناي مفتوحتين بشكلٍ واسعٍ وعقلي رافض أن يهدأ، ثُمَّ يغلُبني النوم مع طلوع الصباح وأنا مُرهق ويائس، فقط لأستيقظ في فترة ما بعد الظهيرة أشعر بالتصلُّب والألم في جسدي.

اليوْم هو نفسه، بعدَ الذهابِ إلى الحمّام بتكاسل، أعددت القهوة وصنعتُ شطيرة، ثُمَّ أجلسُ، أحدِّق في التلفاز أو خلفه إلى الزقاق في الخارج.

يوجد بالغرفة نافذة زجاجية كبيرة مغطاة بستارٍ شفاف لَوْنه يشبه لون الحليب، أستطيع أن أرى من خلاله ولكن الناس في الخارج لا يستطيعون رؤيتي، كلُّ ما يمكنهم رؤيته هو انعكاسهم على الزجاج.

لذا أضع قدمي على طاولة القهوة وأمدّ عضلاتي المتصلّبة، أتثاءب وأحكُّ جلدي بشكل مريح حيثُ أنّ لا أحد يستطيع أن يراني أمضغُ الخبزَ، أرتشف القهوة، وأشعلُ سيجارتي وأنا أشاهد الزقاق بالخارج، النّاس يمرون، سيّدة تُرضِع طفلَها، ومنزل أزرق صغير على الجانب الآخر من الزقاق.

لَقدْ استأجرتُ هذا المنزل منذُ حوالي ثلاثة أشهر، إنها تمامًا منطقة صاخبة، والمنازل مكتظّة بالسكان، لكنَّها رخيصة جدًّا وأنا أحبُّ المنزل، فهو يْحتوي على غرفتين صغيرتين وفناءٍ خلفيّ، ومساحة كافية لي.

يُوجد أيضًا شرفة صغيرة في مقدِّمة المنزل حيثُ أضع اثنين من أواني نبات ال"سفلر" تصطف الشرفة ببلاط أبيض، في بعض الأحيان، عندما لا أستطيع النوم، وعندما أكون قد انتهيت من كل البرامج التلفزيونية وأشعرُ بالضجَرِ الشديدِ لأن أتعامل مع جهاز الكمبيوتر، فأقوم بتنظيف تلك الشُرفة البيضاء اللطيفة وأروي النباتات.

ذاتَ ليلةٍ، قامَ حيوان ما بتلطيخ البلاط الأبيض النظيف بالطّين، في المرة الأولى، قمتُ بتنظيفه دون شكوى في منتصف الليل حيثُ لا يستطيع أحد الرؤية. لَم أكُنْ أُريد أن يتمُّ رؤيتي أنظِّف الأرض لكن عاد ذلك المخلوق مرة آخرى وأعاد فعلته، هذه المرة قد دمَّر النباتات القريبة من قلبي.

لَمْ يكُن لدي أي خيار، فقد قتلته سرًّا في ليلة مؤرقة، ثُمّ ألقَيت جُثته في صندوق في الشارع، لَقدْ كان عملًا سيئًا في الواقع أنا لَستُ شخصًا عنيفًا، لَكِن في هذه الحياةِ ألَا يتعين عليْنا في بعض الأحيان أن نفعلَ أشياء لا نحبُّها؟

لكن مع ذلك، لَمْ أكُن أُريد أن يراني أيٌّ من الجيران وأنا أفعل ذلك.

يمكن القول أنني شخص غير اجتماعي، فأنا بالكاد أتحدث مع جيراني، أعتقدُ أن هذا يُعطي الناسَ سببًا مقنعًا في التفكير بي كرجلٍ غريب، لَن أقول أنني شخصٌ متعجرف، لكن لا يمكنني أن أكون متصنع أيضًا، أنا مجرّد شخصٍ وحيد، ولا حرج في ذلك، فأنا لا أؤذي أحد بوحدتي المشكلة الوحيدة بالنسبة لهم هي أنني أجرؤ على أن أكون مختلف عن أي شخص آخر.

لذلك ليس هناك عداء، أنا فقط لا أعرف جيراني، الوحيد الذي أعرفه على سبيل الدردشة العابرة هو "باك أر تي" - رئيس الآر تي أو روكون تيتانجا، وحدة الحي المحلي وزوجته، فهُم مالكا منزلي المستأجر ويسكنان بجواري، ليس لديهما أي طفل، لكننا نتحدثُ فقط عندما أذهب إلى منزلهما لدفع الفواتير الشهرية، أنا لا أعرف حتى أسمائهم، أنا فقط أسميهم باك آر تي و بو آر تي.

أنا فقط لا أستمتع بالاختلاط، خاصةً مع البشر، أنا أستمتع أكثر مع النباتات، لأنها أكثر صبراً بكثيرٍ من البشر، وليست مزعجة؛ لهذا أضع اثنين من نبات "السفلر" على الشرفة وزرعت زهرة بيضاء وزهرة الياسمين في الفناء الخلفي لمنزلي المستأجر.

دائمًا أحصل على المتعة من جمال براعم الوردة البيضاء، لقد قرأت في مكان ما أن الوردة البيضاء هي رمز للحبِّ الخالص، ماذا يعني "الحب الخالص"، حسنًا، لَم أفهم أبدًا معنى هذا، كل ما أعرفه هو أن رؤية الورود البيضاء تُزهر هي مُتعة يجب ترقبها خاصَّة مشاهدة البراعم وهي تُسقى وقطرات الماء تتدفق على كل بتلة، في مثل تلك لحظات، أتذكر الله، وأشعر بالسعادة.

رائحة الياسمين هي العطر المفضَّل لدي، فهي دائمًا تذكرني بأمي الراحلة، عندما كنت طفلًا، كانت تقطف أزهار الياسمين من حديقتنا وتنثرها على وسادتها، وكنتُ أشتم تلك الرائحة العطرة على وسادة أمي وملاءات سريرها.

لدي الكثير من الوقت لأقضيه مع النباتات الخاصة بي منذ أن أصبحت أعمل ككاتب من المنزل ولا أحتاج إلى الخروج كثيراً، باستثناء الضرورات لهذا السبب يمكنني الجلوس هنا، بينما يُلون الغسق السماء، أدخن سيجارتي وأنتظر الإلهام للكتابة.

ولكن كلّما حدقتُ في أوراق النباتات الخضراء، أدركتُ أن شيئًا ما مفقودًا، نظرتي تنزلقُ خلف النباتات، عبر الزُقاق، إلى المنزل الأزرق الصغير وأخيراً أدركت ذلك، عادة في هذه السّاعة تجلس سيدة مسنة على مقعد خشبيّ خارج منزلها، تحدِّق في اللاشَيْء بعمق، حتى أنه في بعض الأحيان تُخيفُني بأصابعها العجوزة وهي تداعب فراء قطة ذات لونين، أحاول أن أفكر في الأمر وأحسب الأيام، فأنا لَم أرها هناك لمدة ثلاثة أيام.

ذات مرة عندما كنت في زيارة إلى "بو آر تي" لدفع الفواتير الشهرية، أخبرتني أن السيدة العجوز تعيش مع ابنتها الوحيدة، امرأة في منتصف عمرها حصلت على الطلاق منذ فترة طويلة، كما يبدو أن لا أحدَ يعرف سبب طلاقها أو أين ذهب زوجها السابق، لكنّهم يقولون أنّها تعمل في مصنع للغزل والنسيج ليس بعيد من هُنا، فهي تغادر مبكرًا كل صباح وتعود إلى المنزل في الليل تاركةً والدتها بمفردها في المنزل، وهي تجلس أمام منزلها في وقت متأخر بعد الظهر، فقط السيدة العجوز وقطتها.

لَم نتحدث أبدًا مع بعضنا البعض لكنني أستمتعُ بمشاهدتها سرًا، اعتدتُ أن أتساءل عنها: ما إذا كانت تشعر بالوحدة؟ سواء كانت راضية عن حياتها، أم أنها راضية بالملل من حياتها الرتيبة لأنه لا يوجد شيء جديد حقًّا في هذا العالم، لكنني لَم أفكر قَطّ في سؤالها عن ذلك.

يعُم الظلّام وأنا أستعد لليلة أخرى بلا نوم، يغلبني النوم أخيراً مع بزوغ الفجر، لكنني استيقظت من النوم فزعًا بسبب كابوس قابلت فيه الحيوان الذي قتله ولكنه أصبح ضخم جدًا، لقد طاردني وركضتُ لكنني علقت في طريق مسدود ثُمّ بينما أنا خاضع له، فقد تحول تلك إلى السيدة العجوز كانت عيناها المرهقتان

تحتجزني تحتها، وكانت شفتيها المقطبة تُظهر أسنانها الواسعة، إنها ترعبني فأستيقظ على صوت صرخاتي، وجسدي غارق في العرق.

أنا عادًة لا أهتم بوجبة الفطور ولكن أغسل وجهي وأذهب إلى المنزل المجاور، إن باك آر تي ليس بالمنزل، لكن بو آر تي تخبرني خبر حزين عن السيدة العجوز.

لا ليس ذلك، فهي لَم تمُتْ، لاتزال على قيد الحياة، لكنها فقط لا يمكنها أن تتحمل الملل و الشعور بالوحدة بعد الآن، لذلك فقد عادت إلى قريتها في بلدة أخرى هنا، يخبرني "بو آر تي" أن السيدة العجوز ليس لديها أصدقاء أو رفاق، فقط تلك القطة كي تأنس وحدتها، ولكن قدْ دمّرتها الوحدة منذ أن اختفت.

لَقدَ صعقني الشعور بالذنب، مثل غرز شوكة الورود الحادة في عمق قلبي، أنا أعلم ما حدث لرفيقة تلك السيدة العجوز أستطيع أن أتذكر كل لحظة من تلك الليلة عندما أطعمتُ القطة بقطعة من اللحم السام.

ولكن لنكن صريحين، أشعر بالذنب تجاه قتل تلك القطة ولكن لماذا يجب أن أندم على ذلك؟ على أي حال-كما قلت- نحن في بعض الأحيان يجب أن نفعل أشياءَ لا نريد القيام بها.

ثُمَّ في بعض الليالي في وقت متأخر، في واحدة من الليالي المؤرقة، أترك جهاز الكمبيوتر الخاص بي وأروي النباتات برعاية وحنان. إن الأرضية المبلطة للشرفة بيضاء ونظيفة تمامًا، لا تلوثها أي آثار لأي مخلوق، ثُم أذهب في الفناء الخلفي وأسقي ببطء شجيرة الورد الأبيض والياسمين الذي زرعته هناك.

الفناء مشرق مع ضوء القمر، أنا أستمتع بجمال الماء وهو يقطر ويتدحرج على بتلات الورد ثُم ينزلق على السيقان الشائكة ويسقط بأمان على التربة، رائحة الياسمين انتشرت في الهواء تملأ خياشمي وتُذكّرني بأمي الحبيبة.

توقفتُ عن سقاية الزهور وحوّلت وَجهي إلى السماء حيثُ يخيم القمر بلونه الأبيض الساطع, لقدْ مرَّ وقت طويل جدًّا منذ أن نظرتُ إلى القمر، أحدِّق به عن كَثب وأحاول أن أفهم ...، نعم كانت والدتي على حقٍّ.

عندما كنتُ طفلًا، أخبرتني أمّي إنه: عندما يكون القمر ممتلئ، أيّ شخص لديه القليل من الحب الصادق في قلبه يمكنه أن يرى امرأة وقطة تلعبان بفرح معًا على سطح القمر، وهذه الليلة أستطيع أن أراهما، لأول مرة في حياتي أستطيع أن أراهما!

وأثناء التحديق، أرى أن القطة الموجودة في القمر تشبه تمامًا القطة ذات اللونين التي قتلتها، ولكن المرأة ليست مثل السيدة العجوز،لا إنها امرأة أخرى تبتسم ابتسامة ساحرة رائعة، مشرقة ولطيفة مثل بتلة وردة بيضاء جميلة، ما أراهُ في القمر هو ابتسامة أمّي الرائعة.

ملحوظة:

يحكي الفولكلور السوندي (غرب جاوة) عن امرأة مسنة تدعى "نيني أنتيه" تعيش على القمر مع قطتها، ترى الأسطورة أن كلاهما يمكن رؤيته من الأرض عندما يكون القمر ممتلىء.

ليْل

رنَّ الجرس، لا يوجد استجابة، يبدو أنَّها ليست هُنا، أَدخلَ المفتاح ببطءٍ.

كانت الغرفة مليئة بالظلال اللامعة في ضوء الظلام من الغسق، كانت الظلال تبدو شبه صلبة، خلع سترته وأدار رأسه إلى الجانب الأخر لتجنب النظر إلى اتّجاه الضوء القادم من الباب إلى الغرفة الأمامية، كان منزعجًا من الظلال، يجب أنْ تكون قَدْ نظفت هذه الغرفة، كانت نظيفة بشكل كبير.

كانت هناك مدفأة في غرفة المعيشة، جلس على كرسي من الخيزران أمام الموقد مع بقايا اللهب، لَقدْ بردت يديه فكان بحاجة إلى دفء النار المتوهجة بشكل خافت في زاوية الغرفة.

بينما كان على الطريق، رأى كلبًا ميتًا قُتل في حادث أو عمدًا من قبل دراجة نارية. كانت بركة الدَّمِ قد جعلته يشعر بالدُّوار، كان يرغب في أن يقبع لفترة وجيزة ويلمس الدم بأطراف أصابعه، قام أحدهم بسحبه من كم قميصه وسأله ما إذا كان بخير.

كان هناك شيء في نبرة صوت ذلك الشخص جعله يفقد أيَّ رغبة للمس الدم على الطريق، لقد تركه ومع ذلك فإن مسارات الدم الأحمر الداكن التي خلفتها عجلات السيارات ظهرت بوضوح أمام عينيه. الآن كان يحتاج إلى الدفء. في الخارج، هبَّت الريح كما لو كانت تَرمي الحجارة في اللَيْل.

تحسس ذقنه الملتحي، لَم يحلِق لعدة أيام، لقد لفت نظره كومة من الأشياء، لا بد أنها تركتهم على السجادة بالقرب من المَوْقد. كانت تحيك فستانًا، حملها ولمسها بلطف، تحسسها كما لو أن جسدها موجودًا خلف هذا النسيج الأزرق. هذا الصباح رآها فقط في ثوب النوم، كانت نحيلةً جدًّا، يتدفق الثوب حول جسدها.

لماذا تستمر صورة جثة الكلب الميت تحاكي عقله؟ لماذا ظلّت بركة الدم في إزعاجه؟ لَم يسبق له أن رأى أدمغة مخلوق حُطمت من خارج جمجمته. كان أبيضَ رماديًّا على أحمر مُسْوَد ويبدو سميكًا، نعم، قالوا: إن الدم أكثر سمكًا من الماء.

منذ ألف ليلة، كان قد استلقى على السرير خلفها بعد أن مارسا الحب، نائمًا بين ذراعيها الرفيعين الأبيضين، لكن في صباح اليوم التالي استيقظَتْ المرأة ذاتَ جسدٍ مُمتلئ، وتبدو نشطة ومنتعشة.

عندما أذاها كان يريد أن يخفي آلامَهُ، عندما صفع خَدّيها، كان يحاول فعلًا إلقاء الحزن الّذي مزّق رأسه, أخبرها عن وفاة والدته، بدا وكأن والدته ترتدي قناعًا لإخفاء الألم العميق المحفور على وجهها القديم، في الزوايا المجعدة من فمها وحاجبيها الكثيفين.

صارت الغرفة أغمق، لقَدْ سئِم من التأكد من أن الحريق لَم يَمُت ببطء، انطفأت آخر جمرة لهب، وانفجر شيء بارد مع الليْل الذي وصل لتوِّه، شعر كما لو أن انطفاء اللهب يمكن أن يشعر به عند طرف لسانه ويتنقل عبر أمعاءه، ثُمّ ضرب ذلك قلبه، وجعله ينبض بقوة حتى أصبح الضرب قاسيًا لدرجة أنه لَم يترك سوى صَدى غامضٍ لعن ألمه المُعذب، إنه ألَم قد ترك ندبة على وجهه.

كان حلول الليل قريبًا، شعر أن كل حواسه قد عادت، كان يمكن أن يسمع قلبه ينبض بقوة عندما دخلت.

كانت ترتدي فستانًا طويلًا من الدانتيل الأبيض، كانت المرأة النحيلة تقترب منه.

سألته: "لماذا تجلس في الظلام؟"

ذهبت إلى المطبخ لتضيء الموقد، فقام من مقعده وتتبعها إلى المطبخ مِثل رَجُلٍ أعمى، كانت تحمل صندوقًا من أعواد الكبريت، عندما أشعلت كبريتًا واحدًا، أَغلق الباب.

قال لها: "اخلعي ملابسك".

لَم تقُل شيئًا سِوى أنها ابتسمت.

قالها مرة أخرى: "اخلعي ملابسك".

توقفت عن الابتسام، وهي تحاول إشعال الكبريت.

قال لها: "اخلعي ملابسك".

لقد اقترب منها وكانت يديه مثل ثعبان أعمى، إنها ترتجف، استندت على موقد الغاز في زاوية المطبخ وقد عكست عيونها السوداء خوفها، فقام بإخماد عود الكبريت بنفخة واحدة.

سألته بعصبية: " ماذا تفعل؟"

تحركت شفتيه ببطءٍ لكنه لَم يقُل أيَّ شيء.

سألته: "لماذا؟"

لقد صفع خدها بقوة بيد مرتجفة.

قال لها: "اخلعي ملابسك".

لقد سمع حفيف القماش عندما خلع ملابسها وسمعها تنتحب في خوف عندما لمسها بإتقان، نزع بقية ملابسها...

غادر المطبخ وأغلق الباب ببطء.

في غرفة المعيشة، وقف خلف المرآة. كان يرى بوضوح انعكاسه في المرآة وهو يرتدي سترته،هناك الكثير من الوجوه، وجه لديه عيون بنية اللون والوجه الآخر لديه شامة فوق شفته العُليا، كان هناك نُدبة على وجه آخر، رفع ياقته وهو يدري أنَّها ستكون ليلةً باردةً ممطرةً.

بينما كان يمشي ببطءٍ على طول "داغو"، حاول أن يَعُدَّ أضواء الزئبق التي ظهرت مملة على جانبي الطريق، الطريق كان هادئًا جدًا، ظل يمشي ببطء وهو يخترق الليل.

كان المقهى الموجود في زاوية الشارع فارغًا، المطر لَم يتوقف، لقد كان وحيدًا في الغرفة ذات الإضاءة الخافتة، مع قهوة أيرلنديّة فقط ، كان مقهى " ديزيرت روز" خالٍ من الزوار في تلك الليلة، فقط صوت الموسيقى يخرج من زاوية الغرفة.

أحلم بالمطر

أحلم بحدائق في الرمال الصحراوية

استيقظ في ألم

أحلم بالحب مع مرور الوقت في رأسي

في الخارج، لَم يعُدْ من الممكن سماع صوت المركبات المارة، لَم يلْحَظ أحد على الطريق عندما كان يتجول في المطر في وقت سابق، أسرعت سيارة وأنارت النوافذ لفترة وجيزة، سمع مرة أخرى الأغنية من زاوية الغرفة.

أحلم النار

ترتبط هذه الأحلام بخيل لن يتعب أبدًا

وفي النيران

تلعب ظلالها على شكل رغبة الرجل.

غادر للذهاب، وكان المطر قد خف، ومرة أخرى كان يمشي ليلًا في اتجاه شارع "براغا".

كان المكان مزدحمًا، كان ناد ليلي، بعض البغايا يضحكن ويتبادلن الكلمات بشكل مزعج. رقَصَ الناس، وتمايلت أجسادهم، واستمتعوا، بينما وكزته امرأة ترتدي ثوبًا أحمر ضيقًا في ذراعه، فقد واصل المشي ودفع نفسه عبر الحشد ليمر. لَمْ يستطع أن يسمع أيَّ شيءٍ سوى قهقه النساء وصراخ الناس يتمايلون على الجانبين، يليه الصوت العالي للموسيقى، اقتربت بعض النساء منه بشكل مثير.

شعر بألم في معدته وشيء ما يتحرك نحو فمه. ثُم رأى مجموعة من الدماء أمام عينيه، جميعها أحمر وأسود.

ثُم، فجأة، ضحك بصوت عالٍ، دفع يديه بعمق في جيوب سترته وضحك بشكلٍ جنونيٍّ أمام الوجوه الكثيفة.

شعرت إحدى يديه بشيء ناعم في جيب سترته، أخرج يده، وسحب ذلك الشيء الناعم، وفجأة صرخ بصوت عالٍ.

توقَّف الضحك وأصبحت الغرفة صامته، حلَّ الصمت والناس يحدِّقون به.

رفع يديه أمام عينيه، كان يحمل قطعة قماش ناعمة ممزقة، إنها قطعة ممزقة من ثوب.

. سأل بصوت صاخب: " هل من شخص يريد شراء هذا الفستان؟"

بقي الناس في الغرفة هادئين عندما ضحك بصوتٍ عالٍ، ببساطة تجاهل وجودهم ولوح بقطعة قماش ممزقة بيضاء مليئة بالدماء، كانت حمراء داكنة تبدو كما ظلام الليل.

ملحوظة:

الأغاني المقتبسة أعلاه عبارة عن مقطعين من "ديزيرت روز"، أغنية كتبها وغناها المطرب "ستينغ" في الألبوم الجديد للفرقة الموسيقية.

الحب حلو كما السُّم

هل سمعت عن أوراق الضحك والنسيان(1)؟ دعني أخبرك سرًّا لطيفًا: إذا أشعلت تلك الأوراق واستنشقت دخانها، سوف تنسى على الفور جميع المساوئ وتدخل في نوبة ضحك لا مثيل لها.

قالوا إن بعض الناس حملوا تلك الأوراق عبر البحر من أقصى الغرب، تُزرع هذه الورقة التي تشبه النخيل على المرتفعات في موطنها بين المحاصيل أو تكون مموهة بين شجيرات مماثلة في غابة كثيفة. ثُم يتم تجفيفها ولفها بعناية ليتم نقلها إلى أماكن بعيدة عبر الجزيرة، عبر المضيق، وعلى طول المدن، حتى تصل إلى قريتنا في النهاية، كانت تلك الرحلة الطويلة لهذه الورقة المعجزة مكونة من وقت طويل للغاية، لقد بدأت منذ عقود أو حتى مئات السنين.

يقول البعض أن تلك الورقة خطرة ومميتة؛ فهي عبارة عن سُم دنيوي مُحرّم وشيطانيّ. لقد دفعت الناس للجنون، بل أودت بحياتهم, يقول الأطباء: إن دخانها يمكن أن يلحق الضرر على الفور بالرئة ويضعف المخ، ويقول الباحث الديني: إن دخانها يحتوي على خطايا مميتة لتأثير تَسمُم الناس وتنويمهم.

يقولون: إن هذا هو السبب في أن السلطات تحظر أي شخص يدخنها، إذا

صادفوا هذه الورقة فسوف يعاقبون بشدة أيَّ شخص يزرعها أو يوزعها أو حتى يستخدمها فقط يمكن حتى تطبيق الإعدام على أي حد يتداول هذه الورقة السحرية في البلد المجاور.

لقد قمت بتجربتها للمرة الأولى في فترة المراهقة منذ فترة طويلة، مثل أي مراهق يسعى وراء سحرها الخاص في أي مكان في هذا الكون، أنا أيضًا، مولع بتجربة أشياء جديدة، لَم يعجبني حقًّا طعم التبغ، ناهيك عن التدخين، لكن دخان هذه الورقة السحرية شيء مختلف، هناك شيء مضحك ومحفز في رائحتها، شممتها للمرة الأولى في إحدى الليالي في علية لأحد الأصدقاء، في البداية اعتقدت أنه كان يحرق التبغ، لكنني عرفت رائحة التبغ أو القرنفل المفروم جيدًا، هذا الدُّخَان الخاص له رائحة كريهة للغاية وأنا أحببت ذلك بطريقة غريبة. إن الدُّخان لَم يسبب اضطرابًا أو سعالًا كما يفعل لي دخان التبغ. الشيء التالي الذي أعرفه هو أن صديقي كان يحرق ورقة تسبب الضحك والنسيان، ورقة سحرية لإبادة الآلام، ومع ذلك لَم ينتقل حتى بعد عدة أسابيع لتجربتها..

إن كسر القلب هو السبب، لقد وقعت في حب فتاة ليست مجرد فتاة عادية، اسمها "سيروني" هي راقصة "سينترن"(2)، تمامًا مثل والدتها وجدتها منذ زمن طويل لقد فُتنتُ بها وهي ترقص بلا وعي على المسرح في ميدان قريتنا، ظهرت من داخل قفص دجاج بامبو مع زيها اللامع، وعيون مغلقة بإحكام، وحركات حائرة لكنها حكيمة، ثُم تتمايل بينما يلقى المتفرجون العملات المعدنية باتجاهها. يصل إليها كاهن قديم، يقرأ بعض التعويذات ويمس تاج رأسها في لحظة تنهض من جديد وتستأنف عيناها رقصها الوهمي، لقد كنت مندهشًا ومفتونًا بها.

هناك سحر في جمالها شِبه المثالي، عيون كروية، شفاه حمراء ناضجة، ثديان جميلان، ووركان منتفخان، لكنها ليست مثالية تمامًا، فهناك بقعة جمالية كبيرة سوداء تلطخ بشرتها خالية من العيوب. أنا على علم بذلك لأنني تجسست عليها في الحمام ذات مرة. خلف شجيرات "لونتس"، كنتُ استمتعُ برؤيتها وهي مغمورة بالمياه بين أحجار النهر، ذات مرة، رأيت انعكاس جسدها المفتون على قماش ملابسها المنقوعة بالماء، كانت ترتعش، وأنا ابتلع لُعابي.

لسوء الحظ، لَم نكن مناسبين، لقد ارتبطت برجل آخر من قرية مجاورة من قبل والدها، قال أصدقائي، أنا محطّم أكثر بكثير من ذلك الرجل، لكن كان عليّ أن أعترف، مقارنةً بشخصي المُعدم والمنعزل، فذلك الرجل في وضع جيّد للغاية، إن قلبي يتحطم.

في ليلة الزفاف التي احتفلوا بها، كنت في حالة سُكْر بسبب دخان تلك الورقة السحرية في علية صديقي، لَقدْ أمضينا الليلة المحجّبة في الدخان الكثيف لأوراق معالجة الألم، لقد نسيت كل حبي الذي يعاني، كل مصيري الدنيوية، لَم يتبقَ سوى كل هذا الخيال والضحك الخيالي.

بعد ظهر اليوم التالي، بعد النوم الطويل الذي بدأ مع الفجر، استيقظت بعيون ثقيلة، الشمس في الأعلى وخاصرتي تؤلمني من الجوع بأعجوبة، قد نسيت بالفعل حبي سيءَ الحظ وكل آلامي، حياتي تبدو أخفَّ وزنًا خفيفة مثل ريشة الدجاج.

بفضل تلك الورقة السحرية، أنا حقًا أستطيع أن أنسى "سيروني"،على الأقل حتى تسع سنوات بعد ذلك، ومن المفارقات أن تلك الورقة السحرية هي التي أعادتها إلى حياتي الوحيدة.

بعد تسع سنوات، أصبحت مفتونًا جدًّا بورقة الضحك والنسيان؛ ربما لأنني استوعبت ذلك الدخان اللطيف، ما زلت غير متزوج بينما كان زملائي ينجبون بعض الأطفال، الآن بشكل خفي، يعرفوني أهل قريتي بصفتي "البوانغ"(3) لتلك الورقة السحرية، كل من يحتاج إليها يأتي لي؛ فأنا أعرف كيفية الحصول عليها وفهمت كل أسرارها.

في بعض الأوقات، تأتي الأمهات وتسألني عن البعض من تلك الورقة كتوابل لحسائهن، فربما يأكل أطفالهن بشراهة وينمون جيدًا، هناك أوقات يأتي فيها الأولاد المراهقون ذوو الحماسة ويسألونني عن ترياق الألم وهم يمرون بحب مخيب للآمال.

ذات مرة، كان هناك رجلٌ عجوز أراد ورقة فقط للتخلص من الملل، كان متعبًا من حياته الرتيبة بعد أن كان رجلًا ثريًا.

في وقت غسق بارد في موسم الأمطار، فجأة تظهر "سيروني" أمامي، مرتدية ملابس "باتيك سوغا"(4)، محاطة ب"كبايا"(5) وردية اللون، في البداية، بالكاد أعرفها، إنها بالفعل جميلة مثلما كانت في السابق، لكن جسدها أصبح نحيفًا للغاية ووجهها شاحبًا جدًّا، منذ ما حدث قبل تسع سنوات، نادرًا ما صادفتها. حتى بالكاد أتحصل على فرصة لقائها وبالمثل، كنت قد نسيتها منذ فترة طويلة.

استيقظت للتوِّ من غفوة غير مريحة في كوخي المهترئ، تركت الباب المصنوع من الخيزران مواربًا للتخلص من الهواء العفن، بين الوعي والنوم وأنا أفرك عينياي. اعتقدت أنني كنت أحلم، إنه هناك، عند العتبة، يقف جسد نحيل بوجهٍ أبيضَ ضعيف، يتطاير شعرها الطويل في حرية استغرق الأمر مني بعض الوقت

للتعرف عليها والاستيعاب، إنها لا تزال واقفة يغطي عينيها ضباب مؤلم، كانت تدخل وتقترب مني، وقفت مكاني كلوح الثلج، ثُمّ جلسَتْ بجواري.

إنها على الأرجح شخص منذ فترة طويلة جدًّا وغربة الماضي، ظهرت من جديد في عيني عندما شاهدتها وهي ترقص على خشبة المسرح، خرجت من قفص دجاج بملابس تنكرية فاخرة، وعيناها تغلقان بإحكام، وتتحركان بحماسة، ثُم تنهار عندما يرمي الناس العملات المعدنية نحوها.

قالت بهمس: "هذا أنا"، وعيناها تنظران بعمق إلى عينيَّ ، ثُم انحنت بشكل مؤلم، إنها تتنهد، قبل أن تبدأ في سرد قصتها.

إن ما أخبرتني به حقا كئيب،أغنية قديمة استمرت في تكرار نفسها مرات عديدة، قالت أن زواجها تحول إلى الحزن؛ فما زالا بلا أطفال، واشتعلت المعارك بينهما بإلقاء باللوم على بعضهما البعض، لم يستطع زوجها تحمل أن يقال عليه عقيم من قِبل الأشخاص الذين يحيطون به، لذلك فهو يشفي غليل غضبه في زوجته، في الآونة الأخيرة أصبح سيئًا للغاية وغالبًا عندما لا يعود إلى المنزل؛ يزعم أنه يرافق أي امرأة يقابلها، فكانت حياة "سيروني" وكأنها الجحيم، لا أجرؤ أن أنصحها بالطلاق، فهو يعتبر من المحرمات في قريتنا. ناهيك عندما يأتي من جانب الزوجة، سيكون ذلك غير وارد. لذلك كل امرأة يمكن أن تفعله حيال ذلك أصبح مجرَّد الاستسلام والبكاء على مصيرها البائس.

لقد تأثرت بسماع ذلك، على الرغم من أنها قد تركت أثر جرح حب في قلبي منذ سنوات، إلا أنني لَم أكن أشعر بأي ثأر نحوها، إنه ليس خطأها كما اعتقدت، علاوة على ذلك، لقدْ نَسيَتْ كل شيء بالفعل. وهي الآن بحاجة إلى تلك الورقة

السحرية كطارد للحزن، إنها لا تريد أن تصبح مجنونة، ولم تكن ترغب في مواصلة المعاناة إنها تحتاج إلى ترياق الأمل.

قالت: "أنت الوحيد الذي بإمكانه مساعدتي، من فضلك، ساعدني."

ضباب مظلم يبدأ في تغطية السماء، صوت تغريدات طائر "الوقواق" يأتي من مسافة بعيدة، أستمع إلى أنفاسها، ثُم دفعت يدي للمسها، أحرّك يدي على جسدها بارتياب، شممت رائحة غثاء من شعرها، اقتربت منها وقبلتها، وأشعر بقلبها يخفق بسرعة...

بعد انقضاء كل شيء، التف ذلك الدخان العطري في تلك الغرفة الصغيرة الضيقة، نحن نستلقي جنبًا إلى جنب، ندخن الورقة سحرية الملفوفة باليد واحدة تلو الأخرى، تسعل كل حين، ونضحك بشدة، لقَدْ نسيت أحزانها، وأنا نسيت وحدتي، قالت لي أشياء كثيرة، وأنا أستمع لها، ثُم أخبرتها عن رحلة تلك الورقة من أقصى الغرب عبر البحر لعقود، حتى جاءت إلى قريتنا، كلانا يذوب في دخان أوراق النسيان والضحك، نمارس الحب، نستمتع وننسى، حتى بزوغ الفجر.

استيقظتُ في اليوم التالي برأس دائخ وبطنٌ لاذع، إنها لا تزال ترقد عارية بجانبي تبتسم شفتيها، جسدها بلا حراك، بعد فترة طويلة أدركت أنها ميتة.

في الخارج، حدث هياج في القرية لقد اتُهمت باغتصاب وقتل زوجة رجل آخر، تَم اتهامي بنشر سم أوراق الشر وقتل إنسان عمدًا، لَم يقضِ أتباع السلطة الكثير من الوقت في إلقاء القبض عليّ، لا يحتاجون حتى إلى سماع تعليلي للموقف بعد أن قاموا بتعذيبي بشكل جماعي، ألقوا بي في السجن.

سنوات بعد سنوات، كنتُ قد مكثتُ خلف القضبان، أتحسر على قدري، وأبكي

على جراحي المؤلمة بسخط، حتى الآن، إلى الوقت الذي أقول لك هذه القصة، ماذا يمكنني أن أفعل؟ القانون هو أمر السلطة، كيف يمكنني أن أجرؤ على قتل شخص أحببته كثيرًا؟

زينيلدا

كانت شمس أغسطس قد تجاوزت للتوَّ ذروتها، لكن لا تزال شدة شعاعها تنعكس على الخيط الصلب لمسارات السكك الحديدية القضبان الصامتة، التي تظهر عند نقطة واحدة في الأفق، وتختفي من العرض على الجانب الآخر.

طريق سريع يمتد بجانب مسار السكة الحديد يقطع المنطقة، يبدو أنه بُني حديثًا، سطح الأسفلت على نحو سلس ولامع، في لمحة الطريق تبدو مسطحة وصلبة، مسارات السكك الحديدية الفارغة والطريق الهادئ يتألقان بفعل أشعة الشمس.

من مسافة بعيدة تظهر السيارة عند الاقتراب، تبدو تتحرك، تنزلق على طول الطريق اللامع هناك قاعدة عسكرية بالقرب من الطريق ولكن السيارة مدنية، حافلة صغيرة في هذا اليوم الذي يمر ببطءٍ، تسير الحافلة بسرعة على متنها ستة ركاب فقط.

يرتدي أحدُ الركاب قميصًا أصفرَ ضيقًا، يبلغ الرجل من العمر حوالي خمسين عامًا ويشبه تاجر السوق السوداء من النوع الذي يتاجر في الضروريات اليومية هناك اثنان من المزارعين يرتديان قبعات قديمة فيما يلي شابان يرتديان القمصان، وشعرهما غير منسق في المقعد الذي خلفهم، يجلس شاب آخر ذو ملامح شاحبة يمسك كيسًا في حضنه، عينيه مثبتة على مسارات السكك الحديدية.

تصل الحافلة إلى موقع أمني يقف في منتصف الطريق شرطي عسكري، ينظر إلى داخل الحافلة ثُم ينسحب وفي الوقت نفسه، يصعد جندي إلى الحافلة شعره مقصوصًا قصيراً وحذائه لامع بشكل جذاب، يقوم أولًا بفحص بطاقة هوية الرجل ذو القميص الأصفر.

"ما هي وظيفتك؟"

"أنا تاجر".

"ماذا تبيع؟"

"أشياء مُختلفة، يا سيدي."

يتجاهل الجنود المزارعين المسنين، لكنهم يتوقفون أمام المقعدين الخلفيين لفحص بطاقات هُويتهم.

يسأل أحدهما: "أنت عاطل عن العمل، أليس كذلك؟"

يتمتم الشاب في نفور: "نعم يا سيدي."

يقترب الجندي من الشاب الآخر وينظر إلى بطاقة هويته.

"هل أنت طالب جامعي؟"

يحمر وجه الشاب خجلًا. "لا، أعني تواريخ البطاقة تعود إلى عندما كنت طالبًا."

"إذًا، ما هي مهنتك الآن؟"

"انا مُعلم."

"إلى أين أنت ذاهب؟"

"أنا في طريقي إلى وظيفتي التعليمية الجديدة."

”هل معك أوراقك؟“

يفتش الشاب حقيبته ويخرج وثيقة.

”هل أنت مُعلّم مدرسة ابتدائية؟“

يتمتم الشاب: ”نعم.“

أخيرًا، ينزل الجندي من الحافلة ويعطي إشارة للمُضي قُدمًا، يحني السائق رأسه قليلًا نحو الجندي ويتحرك بسرعة مرة أخرى، يغمر المُعلم الشاب في المقعد الخلفي نفسه في مشهد مسارات القطار. المسارات الفارغة، التي تمتد بصمت، وتلمع في أشعة الشمس الشديدة.

أمام الجسر، تلتقي الحافلة بقافلة عسكرية يطلب سائق السيارة الذي تقود القافلة من سائق الحافلة الانسحاب من الطريق يتذمر سائق الحافلة بهدوء لكنه يتبع الطلب، تمرّ مجموعة من الشاحنات في موكب، تحملُ كل واحدة منها عبارة ”مواد متفجرة“ بأحرف حمراء وصورة جمجمة وعظام متقاطعة، كل شاحنة مغطاة بقماش القنب على حمولتها الخلفية، جنديان يجلسان في مقصورة كل شاحنة يرتدي السائقون خوذات أحد الجنود يرفع قبضته في اتجاه الحافلة، تكشف ابتسامة عريضة صفًّا من الأسنان المصفرة، يمدّ المزارعان القديمان على متن الحافلة رقابهما يلقيان نظرة بينما تمر القافلة.

تمرُّ المركبات واحدةٌ تِلوَ الأخرى تمتد على طول الطريق، بقدر ما ترى العين ويبدو أن القافلة ليس لها نهاية.

خلف ذلك، هناك مجموعة طويلة من السيارات -الشاحنات وسيارات ”الجيب“ والشاحنات وما إلى ذلك - تنتظر الآن، تكشف وجوه الأشخاص في المركبات عن نفاد صبرهم وهم ينتظرون ظهور نهاية القافلة.

أخيراً، تمر الشاحنة الأخيرة والحافلة قادرة على السرعة.

أخيراً، تمرّ الشاحنة الأخيرة وتصير الحافلة قادرة على السير بحرية مرة أخرى. في الداخل، يحدق المُعلم مرة أخرى في مسارات السكك الحديدية.

في وقت لاحق، تضطر الحافلة إلى التباطؤ مرة أخرى، يتمُّ لفت انتباه جميع الركاب إلى مشهد غريب إلى الأمام، يمكن لركاب الحافلة الآن سماع أصوات الرثاء مرة أخرى، تضطرُّ الحافلة إلى التوقف، يجهد الركاب عيونهم ليروا ما ينتظرنا.

يظهر في المشهد موكب الدفن التقليدي مع أعلام ورايات، والعديد من المشيعين يرتدون ملابس سوداء لكن جميع المشيعين هم من النساء، حتى حاملي النعش، ليس هناك رجل واحد في الموكب هذا هو حفل على غرار القرية، حاملو النعش والمشيعون يسيرون في منتصف الطريق.

يراقب سائق الحافلة المشهد بهدوء، وهو يريح ساقه على مقبض الباب ويضع يده أسفل خده، ويوضح أنه قد رأى مثل هذا المنظر مئات المرات من قبل. تضطر الحافلة إلى الانتظار لبعض الوقت. يتراكم وراءها خط طويل من المركبات. يمرُّ موكب الجنازة ببطء، دون أي اهتمام بالصف الطويل للمركبات على جانب الطريق، أعلام ورايات سوداء تتطاير تحت أشعة الشمس الحارقة.

تنتظر الحافلة حتى تقوم امرأة، تمشي في نهاية الموكب، بضرب الطرف الخلفي للحافلة كما لو كانت تعبِّر عن آيات الوداع.

لقد تحررنا، تسير الحافلة بسرعة مرة أخرى بشكل مؤقت، يحدق مُعلم المدرسة الابتدائية من النافذة الخلفية للحافلة في موكب الجنازة يعبر الموكب

مسارات السكك الحديدية ويختفي، لَم يمضِ وقت طويل بعد ذلك، تختفي المسارات المهجورة من النظر.

وصلت الحافلة إلى مستوطنة رائعة المظهر، موقع الحياة الليلية لسكان المجمع العسكري، كان المجتمع صغيراً جدًا إلى درجة أن الحافلة مرت به في ومضة، غطَّت أسطح النخيل "ساغو" الأكواخ شبه الدائمة التي اصطفت على جانبي الطريق، مكتظة معًا، خلف خط الأكواخ، سلك الزقاق طريقًا أبعد من ذلك، متعرجًا في طريقه عبر أكواخ التي كانت ضيقة ومتعفنة، يتناقض مشهد الاستيطان بشكل صارخ مع المنظر الرتيب للمسافة التي قطعتها للتو، مع حقول الأرز المهجورة والتلال الصامتة والطرق السريعة الصامتة ومسارات السكك الحديدية.

خارج إحدى الأكواخ، احتضنت فتاة شابة جذابة جنديًّا من الخلف وتمسكت به من ظهره، يمكن سماع صوت هائل من الموسيقى.

أربعة ركاب يستقلون الحافلة كان أحد الركاب الجدد فتاة صغيرة، وكشف فستانها القصير الضيق وحذاءها الوردي عن كونها من سكان منطقة الضوء الأحمر التي مرّت بها الحافلة، حملت كيس من البلاستيك، أما الركاب الثلاثة الآخرون فهم شبان يرتدون سترات عسكرية كانوا في حالة سكر. غطى شعرهم الطويل آذانهم وبدوا ضاحكين.

واحد من الثلاثة بدأ على الفور في همز الفتاة الصغيرة، "أين كنتِ، يا جميلة؟"

لَم تقل الفتاة شيئًا لكن غضبها كان واضحًا من اهتزاز أقراطها الفضية، كانت فتاة جذابة ذات وجه بيضاوي وعينين دائريتين، وكشفت ملابسها الملتصقة عن جسدها الجميل، كانت بشرتها البيضاء مختلفة عن معظم النساء المحليات.

صرخ الشاب: "يا أنتِ، هل أنتِ صماء؟ أنا أتحدث إليكِ!"

نظر الركاب الآخرون إلى ما يحدث وضحكوا، باستثناء المُعلم في نهاية الحافلة نظرت الفتاة في غضب إلى الرجال الذين كانوا يضايقونها.

"يا إلهي، أنظر إلى عينيها الوامضة!"

"جميلة، أليس كذلك؟"

تجنبت الفتاة الشابة النظر إليهم وحدقت من النافذة.

مرة أخرى، ضحك الركاب باستثناء المُعلم الذي تحول وجهه فجأة إلى اللون الأحمر، للحظة بدا الأمر وكأنه سوف ينهض، لكنه بقي عالقًا على مقعده شاهد المرأة بلا حول ولا قوة، لقد كانت جميلة، مع شفاه ممتلئة وجذابة.

بينما واصل الشباب المخمورين مضايقة المرأة، انفجر الرجل ذو السترة الزرقاء في الضحك، أجبر الرجلين المسنين على التبسم، وضحك الشابان وراءهما بشكل هستيري، فقط المُعلم الذي ظهر عليه الخجل، كان يراقب المرأة ليقيس رد فعلها على كل نكتة قذرة تقال لها، لكنها جلست بلا حراك تحدِّق بصمت خارج النافذة.

عندما قال أحد الشبان الثلاثة نكتة وقحة، قهقه الركاب الآخرون.

تحركت الفتاة من مقعدها.

صرخت فجأة: "توقف! أريد النزول!"

نظر سائق الحافلة إليها وقال: "ما زلنا نبعد بعض الشيء عن المحطة."

لقد كان ذلك صحيحًا بقدر ما يمكن أن ترى العين أمام وخلف الطريق، كان هناك طريق سريعة فقط، محاط بسهول مفتوحة.

"أنا لا أكترث لذلك. فقط أريد النزول!"

استهجن السائق وتباطأ عندما وصل إلى نقطة توقف، قام بتحويل التروس إلى المحايدة، مع الحفاظ على تشغيل المحرك أمسكت الفتاة حقيبتها وتوجهت نحو الباب.

استمر الشباب في التهكم عليها وهي تشق طريقها للخروج من الحافلة:

"إلى أين أنتِ ذاهبة؟ لا يزال الوقت مبكرًا."

"ماذا ستفعلين؟ هل تبيعين متاعك هنا؟"

"من الأفضل أن تبقين نظيفة تمامًا حتى تستعدِ للغد!"

تجاهلتهم المرأة حتى وصلت إلى العتبة الأخيرة من الحافلة، استدارت وصرخت في الركاب باشمئزاز، "إنكم حزمة من الخنازير! جميعكم!" بعد أن نزلت، تحركت الحافلة بسرعة.

بالنظر إلى الخلف عند نافذة الحافلة، يواصل السكارى الثلاثة متاعبهم المسيئة، كانت الشمس مشرقة بشدة، هبط النسيم بينما كانت الحافلة تسرع.

كانت الشابة تقف وحيدة بجانب الطريق المهجور، وهي تنظر بينما تختفي الحافلة، التفتت نحو الاتجاه الذي أتت منه، بدأت بالسير على الطريق، على مرمى البصر، تستطيع رؤية السكك الحديدية تقطع الطريق السريع.

واقفة بشكل مستقيم قبل التقاطع وكانت ترى أعمدة ضخمة عليها لوحة ماركة السجائر "مارلبورو" الضخمة. وضعت المرأة الكيس البلاستيكي الذي كانت تضعه تحت ذراعها وهي تحدق في لوحة الإعلانات.

فاتت عدة شاحنات بسرعة، كان هناك سيارة أجرة يقودها رجال يرتدون ملابس مهلهلة وعصابات رأس حمراء، حملوا مجموعة متنوعة من الأسلحة: رماح من الخيزران، بنادق، ومناجل، وكانت أطراف السواطير حمراء اللون. صرخ الرجال كما لو كانوا ممسوسين، حاولت الفتاة التزام الهدوء وهي تنتظر وصول حافلة أخرى، بقيَ وجهها شِبه ملتصقًا بلوحة "مارلبورو" كما لو أنها قد سرحت في التفكير.

بعد حوالي نصف ساعة من الوقوف في حرارة الشمس، هزّت المرأة كتفيها، أخذت حقيبتها، وبدأت في المشي بعيدًا عن لوحة "مارلبورو" نحو الاتجاه الذي أتت منه.

لَم تذهب بعيدًا عندما سمعت فجأة صوت سيارة تقترب من الخلف، استدارت المرأة كانت سيارة "جيب" بها ثلاثة رجال، توقفت السيارة وصوت محركها لا يزال مستمرًا، قبل أن تتمكن من التفكير فيما يجب فعله، قفز رجل ذو جسد عضليّ وشعر مقصوص من داخل السيارة، ابتسم لها ابتسامة عريضة بينما يسحبها إلى السيارة، حاولت الصراخ لكنه أغلق فمها بيده، حاولت الهروب لكنه نجح في سحبها إلى السيارة.

أسرعت السيارة تاركة سحابة من الغبار، على جانب الطريق هناك كيس محتوياته مبعثرة: كومة بائسة من ملابس الأطفال.

في مكان آخر، كان هناك طفل، وهو صبي صغير للغاية، يقف بجانب الطريق، كان يرتدي الزي المدرسي الابتدائي باللونين الأحمر والأبيض، في غسق شهر أغسطس، في ظلال الأعلام الحمراء والبيضاء المملة خلفه، كان ينتظر هناك، منذ أن تجاوزت الشمس ذروتها أتت الحافلات وذهبت، لكن لا شيء حمل الشخص

الذي كان ينتظره. تحول الغسق ببطء إلى الظلام وكان الطريق، مثل أمل الطفل، يتلاشى عندما تحولت الظلال الذهبية إلى ظلام الليل.

عند سماع قرع المحرك، ارتفع الصبي من حيث كان يجلس، اقتربت الحافلة ذات الأضواء الساطعة ثُم اختفت في الطريق.

وأخيرًا، شعر الصبي بالملل من الانتظار: الحافلة التي كان ينتظرها لن تأتي، حول الظلام العالم إلى اللون الأسود تنهد الصبي، كان عليه أن يذهب إلى المنزل وحده، كان عيد ميلاده في ذلك اليوم ووعدته أخته أن تجلب له هدية.

تنهّد الصبي وقال بحسرة: "أين أنتِ يا زينيلدا؟"

الموت يقترب

كانت السماء ملبّدة بالغيوم في تلك الليلة، وكان القمر مخفيًّا بسبب الغيوم الكثيفة التي كانت مظلمة، نزلت قطرات المطر من السيل في وقت مبكر من ذلك المساء واحدة تلو الأخرى، وسقطت بصوت يشبه النقر على الأرض الرطبة.

قام "أيبونغ" بتعديل سترته على مقعد دراجته النارية بينما كان يمشي ببطء، للحظة ارتجف من البرد بفعل رياح الليل، شعره البالي كان رطبًا جدًّا من المطر ببطء، بدأ يدندن لحنًا حزينًا - لحن يتذكره من "الله يعلم متى".

واصلت الدراجة خلال الليل، أسفل منتصف الطريق واصطف مع صفوف غير متساوية من الأشجار إلى اليسار واليمين من طريق الأسفلت.

ضحك يخفي الألم:

"إذا كنت تريد أن تبقى في أمان، فلا تفكر في الكتابة عن هذه القضية في صحيفتك، اكتب عن الأشياء الجيّدة، أي شيء تريده ولكن لا تشير إلى هذه المشكلة أنا جاد، هل تسمعني؟"

لَم يجيب "أيبونغ"، قام بالجزِّ على أسنانه لكبح الغضب، وكانت أصابع يده اليمنى مثبَّتة داخل سترته،

"لقد تحدثت بالفعل إلى رئيسك في العمل قال إنه سيصلح كل شيء."

"رئيسي؟ عمن تتكلم؟"

"نعم، رئيسك في العمل. السيد بيهوم".

"بيهوم؟"

بات "إيبونغ" يفكر: منذ متى كان "بيهوم" رئيسي؟ تخيل صورة "بيهوم" في جسده النحيل، كان "بيهوم" محررًا في مكتبه حيث يعمل مراسلًا كان الرجل معروفًا في صالات القمار.

وكان العالم مُنقلبًا رأسًا على عقب في فوضى عارمة، واحدًا تِلوَ الآخر، كان كل شيء جيدًا كان قد وضعه في عقله وقلبه بهدوء قد أصبح في الفوضى بسبب حقائق الحياة الغريبة، كشر "إيبونغ" وضحك على نفسه. إنها ليست ضحكة فرحة ولكن ضحكة لإخفاء الألم.

لَم يكن هناك شيء في هذه الأيام لا يمكن أن يُشترى بالمال؟

"أنا فوجئت بك! لقد رفضت الأموال التي قدمناها، إنك ترفض كل ما يُعرض عليك، حسنًا، كل ما في الأمر هو أن هذا هو التحذير الأخير لك، أنا لا أعبث هنا."

رحل الرجل الأنيق تاركًا "أيبونغ" وحيدًا في الغرفة الأمامية الضيّقة لمنزله المستأجر، كان الرجل شقيقًا لمسؤول محلي جاء اسمه فيما يتعلق بقضية تعطيل الأموال المخصصة لقروض الشركات الصغيرة لفقراء القرية، هذا ما يحدث: يسرق أشخاص من أشخاص آخرين بجميع الطرق.

في الخارج، لَم يكن هناك نجم في السماء، غيوم كثيفة كانت علامة على أن الجو على وشك المطر، عاد عقل "أيبونج" إلى تعرجاته، بالعودة إلى الماضي...

زوج من الوزغ (الأبراص)

"سأذهب إلى (هالماهرا) الأسبوع القادم إلى منجم ذهب، إنها شركة أسترالية ماذا عنك، هل ما زلت مصممًا على كونك صحفيًا؟ ما الذي تفعله على وجه الأرض؟ ليس الأمر كما لو لم يكن هناك أي وظائف أخرى."

يحدق "أيبونغ" في الشفاه الراقصة الجميلة التي اصطدمت بشفتيه في غضون دقائق قليلة، لقد أخذ سحبًا عميقًا من السيجارة التي كان يحملها.

بات يفكر: "جيا"، يبدو أنك لا تزال لا تفهم ....

كان معروفًا باسم "جيا" عندما كانا يدرسان الجيولوجيا في إحدى الجامعات في مدينتهما، لَم تنته بعد فترة طويلة من نهائيات كأس العالم وحصلت على وظيفة في شركة متعددة الجنسيات، في حين أن "أيبونغ"، الذي كان دائمًا أكثر اهتمامًا بالفنون والصحافة، قد خرج من الجامعة، أراد أن يكون صحفي.

ابعد "أيبونغ" بصره عن جسد الفتاة النحيل، جسد جميل مليء بالعاطفة، يا إلهي، لماذا دائمًا أتعامل مع النساء الخطأ؟

تدحرجت أصابع الفتاة ببطء أسفل صدر "أيبونغ" العاري، ظهر كتف الفتاة المرمري من تحت الغطاء الرفيع الذي يبرز جمال جسدها.

"بونغ، تعال معي إلى مقهى (كاليستا) غدًا، حسنًا؟ إنه عيد ميلاد "أغنيس" ستقيم حفلة صغيرة، عندما نعود يمكن أن نذهب إلى ملهى ليلي. ليلة غد السبت بعد كل شيء..."

"غدًا سأذهب إلى المركز الثقافي، هناك قراءة شعرية تليها مناقشة، آسف، لكن يبدو أنني لا أستطيع الذهاب معك."

"اللعنة! كنت دائمًا هكذا، في كل مرة أريدك أن تخرج فيها من أجل المتعة، فأنت متأكد من أن لديك ما يبرر عدم قدرتك على ذلك، هذا مزعج!"

بقي "أيبونغ" صامتًا، كانت عيناه تركزان على السقف، اثنا الأبراص كانا يطاردان بعضهما البعض بشكل وثيق، كان يحسدهم هل وقعا في الحب؟

كان الأمر كما لو أن البرص لم يكن لديه أي قلق على الإطلاق، كانت حياتهما حياة هانئة، الاستمرار في الحياة دون أن يزعجك كثيراً الاتفاقيات والأمور التي تعتبر ذات أهمية كبيرة والتي غالبًا لا مفر منها في حياة الإنسان.

كانت مكبرات الصوت للكمبيوتر في زاوية الغرفة تصدر صوت أغنية بوب ديلان:

كم عدد الطرق التي يجب أن يسير فيها الإنسان، من قبل تسمونه إنسان؟

كم من الأذنين يجب أن يكون لدى الإنسان الواحد، قبل أن يستطيع سماع بكاء الناس؟

الجواب، يا صديقي، يهب في مهب الريح.

الجواب يهب في مهب الريح...

لغز الموت

" لقد انضغطت دراجة "أيبونغ"، كان القمر يطل من وراء سحابة، على اليسار كان هناك قبر مظلم مهجور تحت مظلة الشجيرات والخطوط العريضة للأشجار، نظر "أيبونغ" إلى المقبرة جعله صراخ طائر ليلي يفزع.

جعلته القبور يفكر في الموت، وهو لغز لا يعرف ما هو عليه إلا أنه كان شيئًا

يجب على كل واحد منا الخضوع له. وبدوره، ذكّره الموت بجميع من أحبهم والذين أحبوه بشدة ولكنهم قد ماتوا - والده وجده وأمه يا إلهي، أمي، لماذا تركتيني؟

عندما كان طفلاً، أخبرته والدته بقصة، كان والده الذي توفي قبل اختطاف "أيبونغ"، رجلًا بسيطًا يحب عائلته ويحب قراءة الأدب، عندما كانت والدته حاملًا في "أيبونغ"، كان والده يقرأ رواية عن كفاح أهل بلد أجنبي من أجل تحقيق حقوقهم، الرواية التي أثرت عليه حقًّا، كتبها "خوسيه ريزال"، طبيب فلبيني كان وطنيًا وشغوفًا جدًّا بكل ما قام به.

كانوا قد اتفقوا على أنه إذا كان لديهم ابن سيحصل على اسم الشهيد في الرواية، الذي كان على استعداد للتضحية بحياته من أجل أهداف الشعب: "إيبارا" وفي إحدى الأيام الممطرة، ولد "أيبونغ" - باسم "إيبونغ" كلقب لاسم "إيبارا" - في هذا العالم العدائي.

هناك ثقب في الطريق، مما يبطئ سرعة "أيبونغ". تمكن من تجنب ذلك عن طريق انحراف حاد. على الجانب الأيمن من الطريق كانت جذوع الأشجار القديمة تلوح في الأفق في مزرعة الفلفل. كان على مزارعي الفلفل - الذين كانوا يطلق عليهم اسم "ساهانغ" هنا في "بانجكا" - حرق جذوعها كسماد للشتلات الجديدة. ثم انتظروا أيادي الملائكة لجعلهم ينمون بينما يرعونهم بالعرق والصبر. عندما يحين الوقت كانوا يبيعون ثمار عملهم من أجل زواج بناتهم.

استمر"أيبونغ" على طول الطريق المدرجة ببطء ولكن بثبات، كانت لا تزال تمطر، وتغرق الأرض. هبت ريح الليل بالخفقان على خصلات شعر "أيبونج" وهي تصفع وجهه، واصل السير للأمام.

" "هل أنت متأكد من أنه سيأتي بهذه الطريقة؟"

"نعم، كل ليلة يأتي دائمًا إلى هنا، يا صديقي."

قام الرجلان المبنيان بشكل جيد بارتداء ستراتهما السميكة، كان أحدهم يمسك بأحد الخناجر، مخبأ داخل سترته، كان رفيقه يجلس على سرج دراجته النارية المتوقفة خلف شجيرة على جانب الطريق.

تستطيع أن ترى بحيرة هناك - منجم من الصفيح السابق الذي تَمّ التخلي عنه، امتلأت الحفرة الشاسعة بالماء، وكان سطحها لا يزال هادئًا، من حين لآخر تصنع عاصفة من الرياح تموجات على السطح الثابت.

يمكن سماع همهمة محرك دراجة نارية على الطريق، يظهر ببطء شكل مُظلم اقترب على الطريق المهجور خلاف هذا الطريق، ظهرت دراجة نارية وراكبها، تطاير خصلات شهره في الهواء. انصرف الرجلان الضخمان من على دراجاتهم، كان في أنفاسهم رائحة الموت فيمكنك أن ترى الكلاب الوحشية تعوي في الليل.

رَسمٌ لأمي

ليس لدي سوى ذكرى ضبابية حول تلك القصة المحزنة، كان عمري ست سنوات فقط في ذلك الوقت، في أحد الأيام سمعت رنين الهاتف فقد استقبل أبي الأمر لكنه لَم يقل كلمة واحدة، إنه يبدو متوترًا جدًّا، وكأن دمَه تجمّد في وجهه دخل والدي إلى غرفته وسرعان ما سمعت والدتي تصرخ، كانت تبكي رن الهاتف مرارًا وتكرارًا، جاء أقاربنا وجيراننا إلى المنزل، يبدو عليهم الحُزن والكآبة.

استمرت والدتي في البكاء والصراخ في غرفتها.

كنت في غرفتي وأراقب من خلف الباب سرًّا، رأيت وجوه الناس وسمعت والدتي تبكي، شعرت بجسدي متجمِّد ويهتز، كنت أعرف أن شيئًا حزينًا كان يحدث لأمي، لَم أستطع الوقوف لسماع ذلك، جعل بكاء والدتي قلبي يؤلمني بشدة، يؤلمني كما لو أن قطعة من الزجاج تؤذي يدي أو عندما تؤذي الحصى الحادة ركبتي، أصبح هذا البكاء أعلى وأكثر حزنًا، كان الناس يصابون بالذعر والفزع. سمعت صرخة في نهاية المطاف بصوتٍ عالٍ جدًّا، ثُم فجأة توقفت كل الضوضاء وخرجت إلى غرفة المعيشة، كان المكان صامتًا جدًّا، لَم يكن هناك المزيد من البكاء كنت على يقين من وفاة والدتي، وضعت جسدي على أرضية غرفتي وبدأت أبكي بصمت.

ثُم تذكرني شخص ما نقلت إلى منزل أحد الجيران، في الصباح اصطُحبت إلى منزلي، والدتي لم تمت كانت مستلقية على سريرها لكن لَم يُسمح لي برؤيتها، قال والدي: لقد توفي العم "جوندي" في معركة جهادية في "مالوكو". كان هناك حرب طويلة بين المسلمين والمسيحيين المواطنين في "أمبون"، عاصمة مقاطعة جزر "مالوكو" في شرق "إندونيسيا".

ذهب العم "جوندي" إلى هناك منذ أسبوع كجزء من مجاهدين - ميليشيا إسلامية من "جاوة"- وقُتل بسهم سام في معركة، لَم أكن أفهم حقًّا معنى ذلك ولكني كنت متأكدًّا بشأن شيء واحد: لَم أستطع اللعب مرة أخرى مع العم "جوندي".

كان عمي "جوندي" هو الأخ الوحيد لأمي، كان أصغر من والدتي بسنتين رحل والديهما منذ زمن طويل، كان اسمه "هيرجونو" اسم جاوي، ولكن بعد ذلك غير اسمه إلى "جند الله"، لَم أكن أعرف السبب، قال ذلك؛ لأن اسمه الجديد يبدو أفضل وأنبل وهذا يعني جندي الله باللغة العربية. لم أكن أعرف لماذا كان على الله أن يكون له جنود ولأي غرض، ولكن بعد ذلك ناديته بالعم "جوندي".

عاش أصدقائه بالقرب عن منزلنا إنهم جميعًا رجال طيبون، ممتازون في قراءة آيات القرآن الكريم، ولهم جميعًا لحية، وكان العم "جوندي" ذي جسم طويل القامة ونحيف وكان شعره مجعد قليلًا، كان لديه عيون بنية وابتسامة جميلة ولحية قصيرة، وجهه يشبه أمي، كان جيد جدًّا تجاهي غالبًا ما كان يلعب معي وعلمني قراءة القرآن، زار منزلنا قبل أسبوعين لكنه الآن مات عن عمر يناهز 23 عامًا.

بعد يوم نُقلت والدتي إلى المشفى، وفي الليل اجتمعنا أنا ووالدي وأصدقاؤنا

وأقاربنا وجيراننا، في منزلنا، جالسين في دائرة على السجادة كان هناك صمت مؤلم، وبعد ذلك بدأ والدي يقودنا إلى قراءة إيقاع غريب بلغة لم أستطع فهمها، لَم أسمع هذه النغمة من قبل كان مثل الصلاة التي دُرست لي في كثير من الأحيان، ولكن تبدو مثل أغنية.

كان هناك بعض القوة السحرية في طريقة أبي في قراءة تلك النغمة - كما لو كان يطير في عالم مجهول للبحث عن مصدر طاقة خارج نفسه، أغلقت عيناه ونظرت في بعض الأحيان إلى الأمام، كان هناك شيء جميل في النغمة الحزينة، مثل الألم والشوق في صوته - ناعم ومرتجف ولكنه رخيم- وفي أعقاب ذلك كان هناك مرة أخرى صمت مؤلم في الغرفة – أثناء ذلك الصمت شعرت كما لو أنني سمعت صرخة من بعيد وكنت خائفًا.

استيقظت في منتصف الليل على كابوس وسمعت هذا اللحن مرة أخرى، اعتقدت أنني كنت أحلم، ولكن عندما أدركت أنني كنت مستيقظًا كان بإمكاني سماع النغمة، كان صوت أبي يأتي من غرفة المعيشة.

رأيته أمام النافذة عندما خرجت من غرفتي، ستارة مفتوحة على مصراعيها، معلقة بين عتبات النافذة. يضيء ضوء خافت في زاوية الغرفة - من المصباح الوحيد الذي يضيء في الغرفة، ظلالها على الأرض وألقى ضوءًا أحمرَ على وجه أبي.

لقد وقف وحيدًا ينظر خارج النافذة، وردد النغمة بهدوء، بدت سوالفه ولحيته غير مرتبة، كانت الغرفة مظلمة في الضوء الخافت، وقفت وراء والدي وأستطيع أن أرى ظلَّه ينعكس على زجاج النافذة. حدقت في ظل عينيه المتلألئة ورأيت شفتيه تتحرك ببطء، يقف هناك كما لو كان يتجول في الليل المظلم، يحاول فهم الليل بلحنه الممزوج بالرثاء.

وأخيرًا، جاءت والدتي إلى المنزل من المشفى، كانت هناك علاقة خاصة بين أمي وشقيقها الأصغر، وكان موته مدمرًا بالنسبة لأمي.

كانت أمي تتمتع بجسد ممشوق لكنها بدت رفيعة جدًا عندما جاءت من المشفى، لقد بدت فظيعة للغاية، لَم أستطع التعرف عليها تقريبًا، ظننت أنه كان هناك خطأ لذا قاموا بإعادة امرأة خاطئة.

لبضعة أيام استقرت أمي في سريرها فقط، ثُم في صباح أحد الأيام خرجت وتمشت حول الفناء دون أن ترتدي الحجاب، كانت عيناها غارقة وكئيبة، بدت ملابسها رديئة بشكل رهيب.

لَم تتحدث إلى أي شخص حتى في ظُهر أحد الأيام سمعت صوتًا في غرفة المعيشة، كانت والدتي تتحدث مع نفسها.

قالت: "لماذا عليك أن تذهب؟ لماذا عليك أن تذهب وتتركني؟"

شعرت بالتجمد عندما سمعت ذلك.

في تلك الليلة سألت أبي عندما كان يحضنني على السرير. "هل ستموت أمي قريبًا؟"

تنهد أبي وقال: "لا يا أليف، لن تموت والدتك قريبًا. "

"هل أمي مريضة جدًّا؟"

"نعم."

"هل ستتحسن قريبًا؟"

"نعم، إن شاء الله، أتمنى لها الشفاء."

"أريد أن تتحسن أمي في وقت قريب، أريد أن أهديها لوحة مرسومة."

الرسم هو هوايتي، عانقني والدي بالقرب من جسده، يمكنني أن أشعر بلحيته على وجهي:"الآن تنامين بشكل أفضل، أليف لا تنسِ قراءة صلواتِك قبل النوم."

أصبحت أمي تبكي بسهولة، أصبحت تتعب بسهولة، لَم تكُن تهتم بالبيت والظروف، كما أنها لَم تهتم بوجباتها وكل ما كان عليها فعله من أجل البقاء والعيش الكريم.

تأتي امرأة في منتصف العمر إلى منزلنا كل يوم من أجل التنظيف والطهي، أطلقت عليه "كيرتو"، كانت أرملة لديها بعض الأبناء الذين تزوجوا بالفعل، كانت قصيرة القامة ولكن مجتهدة ومتميزة جدًّا. كانت تتحدث فقط باللغة الجاوية، لم تستطع التحدث باللغة الاندونيسية.

لقد تجنبتها والدتي، وكانت والدتي أيضًا تتجنب أقاربنا وجيراننا، كانت حتى تتجنبني أنا ووالدي. كانت تبدو خائفة للغاية ومتوترة من وجود أي شخص آخر.

في أحد الأيام، بينما كانت تجلس بمفردها في غرفة المعيشة، سمعتها تدندن نغمة حزينة، كانت أمي تقلد لحنًا ناعمًا اعتاد أن يغنيه عمي، كانت أغنية دينية.

سألت أبي في تلك الليلة: "لماذا غنت أمي هكذا؟"

"كيف؟"

"مثل صوت العم جوندي."

كان والدي صامتًا ويديه ترتجف، "تذكرت والدتك أخيها، الله يرحمه."

"هل تتذكر العم جوندي يا أبي؟"

"نعم."

"لكنك لا تدندن بهذا الشكل."

حدَّق في وجهي للحظة ثُم قال: "حان وقت النوم يا أليف، هيا نصلي."

بعد ظهر أحد الأيام، بعد حوالي أسبوع من عودتها من المستشفى، رأيت والدتي جالسة بمفردها في غرفة المعيشة، سألتها، "أمي، هل أنتِ بخير؟ هل أنتِ جيدة بالفعل؟

لقد حدقت في وجهي للحظة، ثُم فجأة رأيت عينيها تتألقان.

"أليف؟"

"نعم؟"

"أليف، هل ترسمين أشياء جميلة؟ هل قمت برسم لوحات جميلة؟"

أنا لم أرسم أشياء جميلة، لقد فضلت رسم بعض الكرات، في بعض الأحيان بألوان مختلفة - الأخضر والأصفر والأحمر. لم أجب على سؤال والدتي.

سألتني مرة أخرى: "أليف، هل ترسم الطيور والزهور الجميلة."

يمكنني أن أرسم لكِ رسومات جميلة يا أمي."

"يجب أن ترسمِ أشياء جميلة يا أليف."

"هل أرسم لكِ صورة لطائر جميل يا أمي؟"

"يجب أن تجعلِ هذا العالم يبدو جميلًا، أليف. اجعلِ هذا العالم يبدو مذهلًا وجميلًا، كم هو لطيف لو نعيش في عالم جميل."

"سوف أرسم لك بعض الزهور الجميلة والطيور الرائعة، سأفعل ذلك الآن يا أمي."

قالت فجأة: "فقط انسي ذلك الآن." ونظرت خارج النافذة:"ماهو الفرق؟ ما الفرق الآن؟"

تبدو قاتمة مرة أخرى، ملأ الفراغ عينيها الداكنة إنها لم تأتِ إلى غرفتي مرة أخرى، لقد فضلت الاستلقاء على سريرها - للنوم أو مجرد النظر إلى السقف، كانت تجلس أحيانًا على الأريكة في غرفة المعيشة، وتحدِّق خارج النافذة، إلى الشارع.

بعد أسبوعين من عودة والدتي من المستشفى، حضرت إلى غرفة والدي في الصباح، كان والدي قد ذهب بالفعل إلى العمل ورأيت والدتي مستلقية على السرير، كانت مغطاة ببطانية بلون الشوكولاته. بدا وجهها شاحب، خرجت يديها الصغيرة من ثوب النوم،عندما جئت إلى الغرفة، بدت وكأنها امرأة ميتة، ولكن بعد ذلك فتحت عينيها وحدَّقت بي، حاولَت التحدث ولكن لَم تخرج أي كلمة من لسانها. كان رأسها ملقى على الوسادة وأغلقت عينيها مرة أخرى، كانت عيونها المغلقة تشبه زوجًا من الأزرار الرمادية في الأجوف الداكنة الزرقاء، كنت أقف هناك لفترة طويلة، بدت وكأنها لا تستطيع التنفس، كان هناك رائحة غريبة في الهواء.

في الواقع، جئتُ لأريها رسمًا ملونًا صنعته في صباح ذلك اليوم، كان هناك عصفوران، كان طائر واحد في عشه والآخر كان يطير في الجوار بجناحيه، كان العش أصفر باهت بينما كانت الطيور بلون برتقالي وأزرق غامق، كانت هناك أوراق خضراء وزهور حمراء في كل مكان، كانت هناك سماء زرقاء فاتحة وغيوم بيضاء، كان للطائر في العش زوجان من العيون الكبيرة السوداء والمستديرة.

وقفت بجانب سريرها وحدَّقتُ في والدتي تتنفس ببطء.

ناديتها: "أمي".

تحركت عيناها ببطء ولكنها لا تزال مغلقة.

تاديتها مرة أخرى: "يا أمي."

تحركت يداها ببطء وفتحت عينيها، كانت تحدّق في وجهي، وكنت أمسك بالرسمة في يدي لكنها حدَّقت للتوِّ بفراغ في وجهي.

"هذه هي صورة الطيور والزهور يا أمي."

لقد أغمضت عينيها.

"لقد جعلت هذا العالم يبدو جميلًا يا أمي."

أغلقت والدتي عينيها.

"أمي، هل تتحسن صحتك؟"

كانت صامتة.

"لقد جعلت هذا العالم يبدو جميلًا، يا أمي."

كانت لا تزال صامتة.

"سأرسم المزيد من الطيور والزهور لكِ يا أمي."

جاء شخص ورائي، شعرت بيده على كتفي.

"ماذا تفعلين؟" همست لي "كيرتو" باللغة الجاوية الشديدة.

"لقد رسمت رسمة لأمي. أريد أن أجعل أمي في صحة أفضل."

"أخرجي من هنا". كان وجهها الممتلئ يهتز، كانت خائفة من أن تستيقظ والدتي.

"لكن والدتي أرادت أن ألتقط بعض الصور."

"فقط أخرجي من هنا"، دفعتني للخروج من الغرفة.

"أي نوع من الأطفال الذي يزعج أمه المريضة؟ يجب على الولد الصالح ألا يفعل ذلك."

ثُم أحضرتني إلى غرفتي الخاصة.

جلستُ على سريري وحدَّقت في رسماتي، فجأة كنت خائفة للغاية وكان جسدي يهتز بشكل لا إرادي، لَم أشعر بذلك من قبل زحفت إلى طاولة صغيرة بجانب سريري ببطء وصلت يدي إلى قلم رصاص.

بعد ذلك بوقت طويل نادتني "كيرتو" لأخذ بعض الغداء، أدركت فجأة أنني كنت جالسة أمام صورة. كانت الصورة مليئة بالعديد من الخطوط الفوضوية، الأحمر والأسود، هناك يمكن أن أرى زوجًا من العيون الرمادية والطيور النافقة.

الحبُّ لا يموتُ أبدًا

بعد سنوات، بعد عقود من الزمن، قابل متجول هذه الشابة.

إنه بعد ظهر عاصف ورطب، لقد ترك لنا المطر بركة صغيرة، بدت هذه المقاعد وكأنها تحت ظل البوغانفيليا، جلسوا بجانب بعضهم البعض ترقص أوراق البوغانفيل المرتعشة بتناغم مع أنعم ريح للغسق.

"أخبرني عن الحب".

"الحب؟"

"نعم. أخبرني عن الوفاء."

"الوفاء؟"

"نعم. أخبرني عن ذكرى."

وبدأ المتجول قصته ....

لقد كانت ليلة هادئة عندما سقط المتجول في منزل خشبي قديم فارغ، مثل خفاش بجناح مكسور. الحياة الصعبة تركت بصماتها هنا وهناك، في الخارج نقلت الكائنات الليلية إشاراتها لبعضها البعض مثل أغنية سمفونية، ظل وحده، لقد

تعب واستنزف كل جهده بعد سنوات من القتال مع نفسه، كانت ملابسه مهلهلة مثل سراويله كانت هذه الملابس قد غسلت بالماء لفترة طويلة..

يتطاير الدُّخان من السيجارة بين أصابعه العظمية، من أين أبدأ في سرد قصة كيف يمكن أن يكون الحب الكبير ... إنها أغنية حزينة لـ "نانا موسكوري".

في كل مرة يقولها، يتذكر فجأة طفولته التي تثير الحكاية، إنها قصة عن فتاة صغيرة من بائعي الكبريت انتظرت شخصًا ما لكي يشتري كبريتها في عشية عيد ميلاد باردة، في وقت متأخر بعد منتصف الليل، تتضور جوعًا وترتجف من البرد حتى يصل إلى عظامها، تشعل الكبريت واحدًا تلو الأخر لتدفئة نفسها.

في كل مرة تشعل فيها الكبريت تجدت نفسها ملفوفة بدخان ساحر من حُلم: عن والدتها الراحلة منذ فترة طويلة، وعن دمى الغناء الصغيرة الجميلة، وعن الجنيات الصغيرة الجميلة، وعن شجرة عيد الميلاد البراقة ... وبعد إشعال الكبريت الأخير، كانت قد ماتت من البرد، وحدها، كان المتجول تلذذ مذاق أحلام متشابهة في دخانه المحلق، الحلم هو متعة حياته منذ سنوات عديدة.

لقد استسلم الآن المتجول لأحلامه ... الليلة أصبحت غامضة، الغيوم تلطّخ القمر في السماء، أغنية العندليب بعيدة في الصدى.

تتطلع عين المتجول المهجورة الدخان على حافة سيجارته بشكل غير متوقع، ثُم تسلل وجه جميل طويل من ماضيه في شكل ضباب، وجه جميل كان ذات يوم قريبًا جدًّا من قلبه في حياته.

"عما تبحث؟ ألَم تشعر بالتعب من التجول؟"

زوجان من العيون الزجاجية تراقبه باهتمام ومحبة، يمكنك أن ترى الدفء في تلك الأجرام السماوية.

"مهلًا، هل هذا أنت؟ قوس قُزح الأزرق الخاص بي؟ ملاكي الصغير؟"

لمحة من الضوء تومض في تلك الأجرام السماوية للجنية السمراء الصغيرة.

"ألا تعرف ، لسنوات كنت أتطلع إلى هذه اللحظة؟ لحظة عندما يمكننا التحدث من القلب إلى القلب، فقط أنا و أنت نتحدث عنك وعني وعننا، عن الأيام الخوالي، لن أكون جشعًا جدًّا عندما أطلب منك التحدث عن المستقبل، غدًا لك فقط، المحبة والامتلاك هما شيئان مختلفان، من جذور مختلفة للغاية، إن لم يُسمح لي بالحصول على كليهما، سأكون سعيدًا باختيار الأولى ..."

إن الشفاه الجميلة تزهر في أجمل ابتسامة، كانت أصابعها الناعمة تداعب وجه الرجل، كيف أصبح رجلًا كاملًا الآن.

"توقف عن الحلم، كما تعلم، فإن الحياة لن تهدأ من ماضيك، وسوف تتدفق مع كل الاحتمالات."

يوجع صرير طيور الليل كل نفوس الشوق.

"آه ... هل تعلم، لسنوات ما زلت أحتفظ بصورتك، صورنا لن أدع أي أحد يمسهم."

كان هناك فأر يخرج ويدخل في زاوية واحدة.

"لن أنسى أول لقاء لنا، كنت أجلس على هذا المقعد الخشبي جلست بجواري، التقت أعيننا، لقد دهشت وأنت ابتسمت، معلمتنا، كانت أمامنا."

"كان ذلك منذ سبعة عشر عامًا، عندما كنا بالكاد نقرأ، ناهيك عن قراءة الحياة."

"هل ما زلت تتذكر اللحظة التي انتظرنا فيها توقف المطر على بوابة المدرسة؟ لقد تحدثَت أعُيننا، فقط نحن، كنا ننتظر أن تأخذنا أمهاتنا إلى المنزل."

إن تلك الشفاه الجميلة تزهر ابتسامة أخرى.

لكن الواقع أبعدنا عن بعضنا البعض، أخذوني بعيدًا إلى الشرق، التقيتُ بكِ فقط في أحلامي الليلية منذ ذلك الحين، كل تلك السنوات المضطربة. في أحد الأيام كنت أعود إلى مدينتك مصاب بجروح في جميع أنحاء جسدي، ثُم أتيت في تلك الليلة عندما أتيتِ لي بحجاب أبيض مليء بأربطة جميلة، لَم أر مثل هذا الوجه الجميل، التقت أعيننا بلا حديث، حاولت أن أسبح في عينيكِ وتركت بلا إجابة، ثُم اختفيتِ، وذهبتِ كنت قد استيقظت في منتصف الليل بألم خانق في صدري وكأني أصبح في عرقي، في اليوم التالي، اتصل بي أحد الأصدقاء وأخبرني عن يوم زفافك، كنت متأخرًا، لستِ وحدك بعد الآن..."

أصبحت تلك العيون الجميلة كئيبة، كان هناك زوج من كرات الكريستال.

"أنا آسفة للغاية، الحياة دائمًا غير مخطط لها، الحياة في الغالب هي سلسلة من الصدف، لَم اسمع عنك ابدًا لقد ذهبت..."

ينبعث دخان السجائر ويرقص في طريقه.

"ليس هناك فائدة في الندم، لقد حدث ما حدث، يجب أن نتعايش مع الحياة ؛ فالوقت يسير بسرعة كبيرة، والحياة تتدفق مثل جدول دون مصبات، من المستحيل الحصول على كل ما نريده من الحياة، أليس كذلك؟ إذا لَم يكن لدينا ما نحب، فلا حرج في الإعجاب بما لدينا؟"

طيور الليل مرة أخرى مع صريرهم الصاخب.

" منذ ذلك الحين، مرت سنوات عديدة عندما حاولت التعامل مع الاحتمالات، لقد غامرت في بعض الجزر المتزنة، لعبت مع الورود الشائكة. تمكنت من قطف بعضهم ونقلهم إلى المنزل. لكن في النهاية، أواجه دائمًا الفشل. كنت ساذجًا جدًا

تجاه العالم المليء بالكذب. أنتِ الوحيدة التي أعطتني السلام. أنا وحدي الآن. متجول منعزل في وسط الصحراء..."

ترك هذا الزوج من البلورات على الوجه الجميل الهادئ الآن قطراتهم.

"توقف عن الحلم، توقف عن المغامرة، حاول جاهدًا أن تعيش حياتك مثل أي شخص آخر."

انفجر المتجول في الضحك بمرارة ، ضحكات مريرة لقتل الآلام، يتكلم بصوت أجش، يقول أبيات شِعر للشاعر "هاروم سكاروم": إن الحياة تؤخر خسائرك فقط، وتصبح أكثر بعدًا من الحب في المدرسة الابتدائية، وهناك دائمًا شيء غير معلن، قبل أن نستسلم أخيرًا...

ينبعث من سيجارته دخان أقل الآن، ببطء يتلاشى الظل الجميل الهادئ، تبخرت بفعل رياح ليلة من أحلك الليالي.

لقد انكسر الغسق منذ ساعات، والآن أصبح البرد سائدًا في الليل، على طرف الأشجار، كان القمر ممتلئًا تقريبًا، يقطر رذاذ المطر آخر قطرة.

تحت كثرة نبات البوغانفيليا، أنهى المتجول العجوز قصته، كان قد حفر سرًا في عينيه، قرب الكمان بجانبه وبدأ يعزف مقطوعة موسيقية، إنه لحن موسيقي بائس.

سألت الفتاة الشابة بحماسة، "هل هذة النهاية أيها الرجل العجوز؟" كانت قَدْ استمعت إلى القصة بكل إخلاص.

ترك المتجول العجوز السؤال بلا إجابة، اذهبتَ بعيدًا بفعل اللحن الحزين؟ إنه حزين وكئيب وجذاب في نفس الوقت، يداعب الليلة المهجورة أكثر من أي وقت مضى.

الضَّبابُ

لقد طاردوه لمدة يومين ولكن في النهاية، فقدوا طريقه عند سفح التل، إنه يختبئ وراء الأدغال الكثيفة، يمكن أن يسمع الرجال - الذين يحملون بعض الأسلحة - يصرخون عندما يقررون في النهاية النزول لعبور الوادي، خلف شجرة يمشي باتجاه حقل مفتوح حيثُ يركضون على عجلة مثل قطيع من الكلاب البرية، ببطء ولكن متأكد من أنهم يختفون في ظل الضباب الذي يأتي فجأة من السماء الزرقاء المزينة بالقمر والنجوم، أخفاهم الضباب عن نظره.

يُذكّره الضباب بالموت، ولكنه بمثابة الأم له، يغطي الضباب كتفيه التي يغطيها قميص خشن مزخرف ببقع دم جافة، يحافظ الضباب على جسده دافئًا. يلتهم ويشرب الضباب بفمه كما لو كان طعامًا وشرابًا لَم يره منذ وقت طويل، يبتسم مثل القط الجائع في الضباب الذي ينمو.

يمشي الرجل على طول الأدغال عند سفح التل، يحاول العبور إلى الجانب الآخر من التل، يتخيل وعاء من الحساء الدافئ وكوب من القهوة، يتخيل امرأة شابة وقفت بصمت، ابتسمت شفتيها ابتسامة جميلة، يتخيل شعرها الطويل المجعد.

يواصل الركض بين الأشجار ثُم يجد أنه في طريق صغير. أين هو الطريق الذي يجب أن يسلكه: نحو القمر أم مقابله؟ الضباب يجعل القمر لا يمكن رؤيته

بوضوح، لكن في زاوية السماء، حيثُ يختفي الضباب، يستطيع أن يرى النجوم تتألق، يقرر المشي إلى الشمال، نحو النجوم، يدندن أغنية غريبة، يمكنه سماع صوت خطاه عندما يمشي جنبًا إلى جنب مع التربة الرطبة.

يمكنه الآن أن يريح عقله المضطرب، لكن فجأة، يسمع بومة تبكي على فرع شجرة بجانب الطريق، يتوقف ثُم يركز عينيه لرؤية هذا المخلوق بشكل أكثر وضوحًا، يستطيع سماع شيء محزن في صوته، للحظة يحدق في البومة بينما يجلس بجانب الطريق، مستلقيًا على شجرة، ثُم يبدو خائفًا من البومة التي تفحصه بأعينها الرهيبة، ينهض ويمشي في الطريق، في ظلام الليل يمكن أن يسمع المخلوق يبكي مرة أخرى ويطير بعيدًا. يبدو المسار أمامه طويلًا ويتجه نحو النجوم، الأشجار والوادي وذاكرة براميل البندقية تختفي خلفه.

يصر بأسنانه بينما يتسلق التل، ثُم مع حركة سريعة يقفز نحو الضباب عند مفترق طرق، يقول لنفسه في ذهنه: اذهب إلى الجحيم مع النجوم! ثُم يمشي في الظلام.

إن الضباب يتلاشى. الأرض مثل كرة تحت قدميه. يواصل المشي، وبعض الكلاب تنبح بعيدًا. يمكن أن يسمع ذلك بشكل غامض ويركض. ويواصل الركض بشكل أسرع. كما لو أنهم ما زالوا يبحثون عنه ويلاحقونه.

إنه يتذكر أنه منذ مطاردته، لَم ينم حتى لثانية واحدة، الآن يمكن أن يشعر بالمطر يسقط على جلده، إنه متعب كثيرًا، لو كان يستطيع النوم، إن النوم بمثابة فتاة جميلة له، في اليومين الأخيرين كان يتخيل لقائهما؛ هو والنوم.

قال له النوم الذي يشبه فتاة جميلة: "استلقي." أعطته ثَوبها ثُم وضعت جسدها بجانبه.

لكنه يواصل الجري لاهثًا...

إن المرأة وحدها في منزلها الصغير، تحيك ثوبًا إنه فستان أزرق فاتح مزين بزهور على الصدر، سيكون جاهزًا للارتداء قريبًا، سيكون الثوب معلقًا على كتفيها بأناقة مع إزهار الزهور على طرف ثدييها، سيجعلها تبدو أجمل من وجهة نظر زوجها، تتخيل أنها تمشي مع زوجها وهي ترتدي الفستان، وتمسك بيديه.

لقد انتهت الآن، فهي ترتدي الفستان الجديد وتقف أمام المرآة، لكنها تفكر أن ما في ذهنها أجمل بكثير من الواقع، فالثوب يجعل وجهها يبدو شاحبًا.

هناك كلب ينبح بصوت عالٍ، تنتقل من أمام المرآة لتسحب الستارة عن النافذة.

في الخارج، في ظلمة الليل، يُطارِد بَعض الرجالِ قاتلًا مجنونًا، قالوا: إنَّ القاتل له عيون بُنّيَّة، ولديه زوجة، امرأة شابة جميلة، قالوا إنه مزّق فم زوجته بخنجر لمجرد أن المرأة المسكينة ابتسمت لرجل آخر ثُم قتلها، تم إلقاء القبض عليه من قبل الناس ولكنه تمكن من الفرار، وركض نحو الوادي.

من بعيد يمكنه رؤية الضوء الذي يضيء من منزل صغير، يتحرك خلسة في الحديقة، ويلمس السور، تشعر الأسلاك الصدئة بالبرد عند أطراف أصابعه، يمشي ببطء نحو الباب، ثُم يفتح الباب الخلفي الذي لَم يكن مغلقًا.

تجلس المرأة في غرفة المعيشة، شعرها طويل ينسدل على كتفيها بحرية، هناك زرين مفتوحين من أعلى فستانها، لماذا ينبح الكلب؟ كان دائمًا يخاف نباح الكلب، يتذكر قصة مروعة سمعها، كان هناك جثّة امرأة ميتة ملقاة على الأرض دون فَمٍ غارقة في الدم.

يُفتح الباب الخلفي دون صرير، يمشي الرجل، يمكن سماع خطاه على الأرض.

قالت المرأة دون النظر: "هل أنت في المنزل، عزيزتي؟"

ثُم أدارت رأسها ورأت الرجل، كان هناك بقع دماء من ندبة على جانب عينه اليسرى، عيونه بُنية. إنها تغطي فَمها بأصابعها، شَعُرَت بصدمة شديدة وصراخ متقطع.

قال الرجل بصوت مرتعش، "من فضلِك، لا تصرخي ..."

لكن حركة يديها تجعل الجزء العلوي من لباسها ينفتح على نطاق واسع؛ كاشفاً عن صدرها.

ينظر الرجل بدهشة لوجه شاحب، يمكن أن يرى زوجًا من العينين الخائفتين، وفمًا مفتوحًا، ثُم زهرتين متفتحتين على فستانها، وكأن الفستان يرقص في عينيها، يرى المرأة جالسة أمامها، في منتصف براعم الزهور. يرى الزهور في كل مكان، يقترب أكثر نحو المرأة...

يغمغم الرجل قائلًا، "أنا فقط أريد أن أنام"، ينزل على ركبتيه ويضع رأسه في حضن المرأة، وفي وقت لاحق يغفو كطفل رضيع والمرأة تفقد وعيها.

الحِجَابُ الأبيض

استيقظ "إبراهيم" في الساعة التاسعة صباحًا، كان هذا الرجل العجوز قد استلقى على الأرض، محاطًا بناس تبكي في آلام مرَوِّعة، صيحات بكاء بعض الأطفال والنساء والأطفال الرضَّع في هذا المكان كثيرة للغاية.

لقَدْ بَقِي بلا حراك، يحدِّق في السماء المزرقة، كتلة من الغيوم تجعل السماء بيضاء، الجو حار وجاف بالنسبة لمحيطه، يبدو وكأنه رجل عجوز مفتون بالحلم،لقد كان متحجرًا في عقله الخاص.

كانت جفونه ترتعش وفجأة ضربته أشعة الشمس، كان يعلم أن الأنوار المبهرة أعادته إلى العالم الحقيقي، العالم مليء بالأصوات والصراخ من اللاجئين، الرجال والنساء، الذين يحيطون به، سلسلة مما حدث تومض في ظلال ضبابية مختلطة في ذهنه ... طلقات نارية، شرفة المسجد، صرير ماكينة الشاحنة، ليلة غامضة "ميوتيا"

ميوتيا! هرع "إبراهيم" وصار يمشي هو يحاول العثور على شخص ما بين حشود اللاجئين، لساعات كان يبحث في كل زاوية، يصيح باسم ابنته الوحيدة، كنزه الثمين الوحيد الذي بقى.

"ميوتيا، ميوتيا.."

لا إجابة، لا توجد "ميوتيا" في أي مكان.

سيطرت عليه الحيرة واليأس فجأة شعر إبراهيم بالإعياء في ذهنه، وشعر أنه يائس وضائع، مشاعر مماثلة مرَّ بها أشخاص من حوله، فقدوا أفراد أسرهم أيضًا: الأطفال، الزوجة، الزوج، الأم...

في النهاية استسلم "إبراهيم" وجلس على الأرض ثُم أخذ نفسه بعيدًا عن الحشد، لقَدْ كان مرهقًا ومتهالكًا، حاول رؤية الأشياء أكثر وضوحًا، متى وأين انفصل عن "ميوتيا" وأمها؟ مقتطفات من الصور تسير في ذهنه، زوجة بطنها الواسع ممزق غارقة في دمائها.

لقد توفيت والدة "ميوتيا"، ليس هناك شك في ذلك، إنه يشبه نصل من البامبو مثقوبًا في قلبه، شعر أن روحه تصرخ، لكنه كان قد نفد بالفعل من البكاء، سمع صوت زوجته بشكل غير واضح وهي تقول كلماتها الأخيرة: "فقط اتركني ... خذ ابنتنا بعيدًا."

ركض كلاهما بأسرع ما يمكن، لَمْ يأخذ "إبراهيم" و"ميوتيا" سوى الملابس التي يرتدياها، إنهما مختلطان بمئات من الناس الذين يصرخون على عجل، وسط خطى الناس، سقط الحجاب الأبيض ل"ميوتيا" على الأرض الرطبة، وتوقف "إبراهيم" لالتقاطه. كان هناك طلقات نارية وشغب خلفه. صرخت "ميوتيا" في ذعر تجاه أبيها، "أبي، فقط اترك هذا الحجاب وحسب."

يبدو أن أصوات الاضطرابات تتردد في أذنيه وكأنها قادمة من العالم السفلي تهدأ ببطء، وتتحول إلى أصوات ضوضاء من حوله أدت إلى عزله بين الحشود.

شعر إبراهيم بمجموعة من الأشياء داخل جيب بنطلونه ثُم أخرجها، إنه حجاب أبيض ملطخ بالدماء. نعم، لقد أدرك الشيء جيدًا بما فيه الكفاية، إنه حجاب "ميوتيا"، لكن أين هي؟ أين "ميوتيا"؟

هل ذهبت "ميوتيا" إلى المسجد الكبير حيث لجأ اللاجئون؟ هل كانت ابنته في الشاحنة مع اللاجئين؟

سبقت الأسئلة أسئلة أخرى، بلا إجابة لأيٍّ منها، لقد أراد حقًّا أن يبكي، ويترك تلك الدموع المؤلمة لتخفيف آلامه، لكنه فقد كل دموعه، يمكنه أن يصلي فقط بصمت، آملًا أن يبارك الله تعالى ورحمته ابنته بالخلاص ويسمح لهم بالاجتماع مرة أخرى.

لقد ضاعت عيناه المتعبة في التفكيرلا يزال بإمكانه سماع أغنية شعبية قد أحبت "ميوتيا" غنائها عدة مرات في طفولتها في كل مرة عادت إلى المنزل بعد تعلم القرآن في المسجد الصغير، كانت تقضي هي وصديقاتها وقتًا في اللعب في فناء منزلها الأمامي، يضحكون ويغنون أغاني سعيدة عن "بونجونج جيومبا" أو أزهار "ماغنوليا تشامباكا" تحت ضوء القمر:

Bungong telebeh, telebeh indah that rupa…

Puteh kuneng, meujampu mirah

Bungong jeumpa, indah lagoina…

وبعد يومين، كان قد حصل على فرصته، يأتي إلى المكان سبعة شبان يحملون بندقية على أكتافهم، يأتون في الشاحنة، أخبره هؤلاء الشباب أنهم قاموا بالفعل بإجلاء بعض الفتيات والأطفال إلى أماكن أخرى.

أخبرهم "إبراهيم" عن ملامح "ميوتيا"، "إنها نحيلة وجميلة للغاية، لا، إنها ليست مثلي، تبدو مثل والدتها، هي في السابعة عشرة من عمرها، تتميز بعيون كبيرة مستديرة وجميلة، وشعر أسود، وهناك خلد صغير تحت شفتيها، الرجاء العثور عليها. آمل أن يجلب لك الله كل خير لفعل ذلك."

أجاب أحدهم، "إذا كانت ابنتك لا تزال على قيد الحياة، فسوف نعثرُ عليها."

عادوا إلى "وكسيماوي"، أخذوا الكثير من الفتيات والأطفال إلى مخيم اللاجئين، لكنهم لَم يعثروا على "ميوتيا".

في اليوم التالي رأوا فتاة في الشارع، تبدو خائفة وتحاول الهرب، توقفت الشاحنة للحاق الشبان بتلك الفتاة حتى تمكنوا من إيقافها، كانت الفتاة في حالة صدمة ووجهها باهت، نعم، إنها "ميوتيا" بالفعل، ابنة "إبراهيم".

لقد عاملها الشباب المسلحون بشكل جيّد، أعطوها الطعام والماء ثُم أخذوها داخل الشاحنة، قدم أحدهم سترته حتى تتمكن من تغطية جسدها لمنعها للحفاظ عليها من البرودة. تبدو الفتاة مريضة جدًا ولا تنتبه أن الحجاب لا يغطي رأسها، تضرب الرياح الشديدة شعرها الأسود. حاولت بتوتر تغطية ثدييها الظاهران من اللباس الشفاف التي ترتديه بيديها المرتجفتان.

مرت الأيام وما زال "إبراهيم" يتوق لرؤية ابنته الحبيبة، وقال أنه سيظل ينتظر، لا أخبار، ولا حتى إشارة واحدة، يبحث كل يوم من مخيم لاجئين إلى آخر، يحاول جاهدًا العثور على "ميوتيا". في وقت متأخر من الليل، كان يركع على ركبتيه يصلي ويتوسل إلي الله بعد صلاة التهجد، صلى حتى وجد هؤلاء الشبان المسلحين "ميوتيا" وأعادوها إليه، لا تزال كلماتهم تتردد في أذنيه، "إذا كانت ابنتك لا تزال على قيد الحياة، فسوف نعثر عليها".

وذات يوم، رآهم مرة أخرى في مخيم للاجئين، كانوا على وشك الرجوع إلى شاحنتهم للذهاب مرة أخرى.

صرخ ينادي على أحدهم، "أيها الشاب، هل وجدت ابنتي ميوتيا؟"

أجابه أحدهم، "سنجدها قريبًا."

يصلي الرجل العجوز صلاة أخرى لهم مرة أخرى بصمت، إن ذلك يعطيه القليل من السلام ويريح من عذابه بعض الشيء.

في إحدى الليالي، هناك حدث مفاجيء حتى في مخيم اللاجئين هذا، رأى "إبراهيم" أربعة رجال يحملون جثة فتاة شابة، وجدت فاقدة للوعي في الشارع خارج المدينة، أخذوها إلى إحدى مستشفيات الطوارئ حول مخيّمات اللاجئين.

تبعهم "إبراهيم، وقد بدا متحجرًا في مكانه للحظة خارج مستشفى الطوارئ قبل أن يقرر الدخول، في إحدى الغرف، رأى فراش مفتوح وجسم عليه بلا حراك.

كان الضوء مفتوحًا، وهناك وجه صلب مع خلد صغير تحت شفتيها، وعيناها مغلقة.

صرخ إبراهيم بصوت عالٍ، "ميوتيا!"

جاء الطبيب وحدّق في وجهه.

أوضح له "إبراهيم" وهو يرتجف، "أنا والدها."

لاحظ الطبيب ذلك الجسم الذي لا يتحرك دون أن يقول أي شيء، لمس معصمها للتحقق من نبضاتها، فتحت تلك الفتاة عينيها، في محاولة لتحريك جسدها.

لمست يديها النحيلة الطرف السفلي من ملابسها، ببطء شديد قامت بربط العقدة على خصرها، وسحبت الغطاء كاشفة عن رجليها، ثُم دون كلمة قامت بإبعاد فخذيها عن بعضهما البعض بشكل واسع، وحدقت بعينيها على نحو فارغ.

" يصرخ "إبراهيم" بنبرة سعادة، "هل لاتزال على قيد الحياة؟! هل لا تزال ابنتي على قيد الحياة؟!"

شعر الطبيب أنه مُخدر وشعر بقطرات باردة من العرق تمرّ عبر عنقه.

رَقْمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ

يرنُّ الهاتف مرارًا وتكرارًا، يجيب "ماتاري":

"مرحبًا، إنه 2500998."

صوت امرأة ناعم يقول: "آسف، الرقم غير صحيح."

أغلق "ماتاري" الهاتف وعاد إلى كتابه، لقد قرأه سبع مرات حتى الآن. ليس لأنه جيد جدًّا ولكن لأنه الكتاب الوحيد الذي يمتلكه، لَم يجد الصفحة الأخيرة من الكتاب، ربما شخص ما قد مزقها.

سكن "ماتاري" هذه الغرفة لمدة أسبوع، كان مكتب صغير يملكه صديقه، فإن صديقه في مدينة أخرى لرحلة عمل، لأن "ماتاري" هو أحد الآلاف بلا مأوى في هذه البلدة الكبيرة، فقد دعاه صديقه إلى الإقامة في مكتبه وهو في الخارج، فيتمكن "ماتاري" من الاعتناء بالغرفة كذلك، كشخص بلا مأوى، اعتاد "ماتاري" على النوم في كل مكان، ينام أحيانًا على جانب الشارع أو في شرفة المسجد. في بعض الأحيان كان يأتي إلى منزل أحد الأصدقاء لمجرد النوم لليلة أو ليلتين.

إن "ماتاري" عاطل عن العمل، يكره جميع أنواع الوظائف. ليس بسبب أنه كسول ولكن لأنه لا يرغب أن يتم استعباده بسبب الحياة الروتينية في العمل التقليدي، لقد حدث أن حصل وظيفة ذات مرة مثل أي شخص آخر، لكنها لَم

تدم طويلًا، الآن ليس لديه نية للحصول على وظيفة ثابتة من الصباح حتى بعد الظهر والحصول على رواتب شهرية لحسن الحظ، لا يحتاج إلى أشياء تقريبًا في هذه الحياة، إنه يحتاج فقط إلى فنجان من القهوة في الصباح، وبعض الأرز لتناول طعام الغداء والعشاء، وبعض السجائر في اليوم، هذا كل شئ من الجيد أنه لديه بعض الأصدقاء الذين يحبون مساعدته إذا كان في حاجة.

لا يوجد لدى "ماتاري" عائلة أو أقارب، الحياة القاسية تجعله قادرًا على البقاء على قيد الحياة بدون وجبة لبضعة أيام إذا كان يتوجب عليه ذلك، في الواقع هو شاب لطيف لا يعرف أصدقاؤه شيئًا عنه سوى أنه هرب من المنزل لفترة طويلة ويعيش في الشارع لسنوات، ولكن هناك بقعة فارغة في حياته: امرأة.

يقول دائمًا: "إذا كان هناك امرأة تحبني، فإن حياتي ستتغير." عادة ما يسخر منه أصدقاؤه بسبب ذلك: "لكنك لا تزال بلا وظيفة."

قال، "سأحصل على وظيفة منتظمة إذا حدث ذلك بالفعل."

"لماذا لا تقيم علاقة غرامية مع امرأة غنية؟"

"ما الجيّد في إقامة علاقة غرامية مع امرأة غنية؟"

ما هي إلا بضع دقائق قبل منتصف الظهر. يرن الهاتف: "مرحبًا، إنه 2500998."

امرأة ذات صوت ناعم تقول، "2500998؟"

أجاب ماتاري: "نعم، هذا صحيح."

قال الصوت الناعم: "من أنت؟"

"أنا ماتاري."

عم الصمت لثانية ثُم سأل ماتاري: "مع من تريدين التحدث؟"

" أجاب الصوت الناعم، "أنت."

"أنا؟"

"نعم، إذا كنت لا تمانع."

"لا، على الاطلاق."

"قلت أن اسمك مات علي، أليس كذلك؟"

"لا، إنه ماتاري."

يعمُّ الصمت مرة أخرى.

قال ماتاري: "قلتِ أنكِ تريدين التحدث معي."

"لا أعرف ما يجب أن أقوله، ماذا عنك، أخبرني قصتك؟ "

"حسنًا. لقد أخبرتكِ باسمي، لبعض الوقت أعيش هنا في الواقع هذا مكتب صديقي لكنه الآن في رحلة عمل، لذا طلب مني البقاء هنا حتى يعود، عادةً ما أنام في جانب الشارع أو في شرفة المسجد لكنني الآن أنام على مكتب كبير."

"ماذا تفعل هناك؟"

"كنت اقرأ كتابًا، الصفحة الأخيرة مفقودة ولكني قرأته سبع مرات، في أحد الأيام إذا تمكنت من العثور على الصفحة المفقودة، فسوف أعرف كيف كانت نهاية قصة العشاق في هذا الكتاب."

"يبدو أنك شخص مثير للاهتمام وفريد من نوعه."

"ربما."

"ما هي وظيفتك؟"

"وظيفة؟ لا شيء، ليس لدي أي وظيفة. لكن أحيانًا اكسب بعض المال من كتابتي، أنا فقط أتجول في النهار وأنام في الليل."

"ماذا تكتب؟"

"أي شيء. القصة، الشعر."

"هل تحب حياتك؟"

أجاب ماتاري: "لا أعرف، لم أسأل نفسي أبدًا أسئلة من هذا القبيل ولكني أعتقد أنني أحب حياتي، أنا أعيش على هذا الحال لسنوات."

تضحك المرأة على الهاتف.

"إن ضحكتك جميلة."

يبدو صوتها خجولًا: "شكرا لك." إنها تغلق الهاتف فجأة، ينظر "ماتاري" إلى سماعة الهاتف لفترة طويلة بعض الشيء ويبتسم.

في صباح اليوم التالي حوالي الساعة الثامنة، يرن الهاتف مرة أخرى، لا يزال "ماتاري" نائمًا لكن الضجيج يوقظه، يتثاءب بقم واسع ويرفع سماعة الهاتف.

"مرحبًا، إنه 2500998."

"صباح الخير يا ماتاري."

"صباح الخير... هل هذا أنتِ؟ صباح الخير."

"هل استيقظت للتوِّ؟"

"نعم. أنا مدلل منذ أن بقيت هنا. عندما أنام في جانب الشارع، يجب أن أستيقظ مبكرًا في الصباح قبل أن يأتي المارة. اعتدت هنا أن أستيقظ متأخرًا."

يمكن لماتاري أن يسمع ضحكة لطيفة.

"لماذا لا تسألني عن اسمي أو رقم هاتفي؟"

"وماذا يعني اسمك بالنسبة لي؟ أنت تعرفين اسمي ورقم هاتفي وهذا يكفى. إذا كنتِ تريدين من الاتصال بكِ في وقت ما، فأنا متأكد من أنكِ سوف تخبريني باسمك ورقم هاتفك."

"ليس صحيحًا تمامًا."

"بلى، إن الأمر متروك لكِ، أنا لن أسأل."

"أنت غريب الأطوار."

"نعم، أنا كذلك."

يعمُّ الصمت.

سألها ماتاري "بماذا تفكرين؟"

"لا يمكنني إيجاد أي موضوع للتحدث عنه."

"فلماذا لا تغلقين الهاتف إذًا؟"

"إنك وقح للغاية، سأغلقه فورًا".

يبتسم "ماتاري" ويضع سماعة الهاتف، ثُم يغسل وجهه في حوض في زاوية الغرفة، ويأخذ سترته ويخرج، يفكر طوال اليوم في المرأة الغامضة ذات الصوت اللطيف على الهاتف، إنها تبدو مثل امرأة شابة متعلمة، بدت ضحكتها جميلة جدًّا وتذكره بوالدته الراحلة. عاد "ماتاري" إلى الغرفة في وقت متأخر من الليل، لَم يمضِ وقت طويل بعد مجيئه على صوت رنين الهاتف.

"مرحبًا."

"مرحبًا، لقد اتصلت بك عدة مرات اليوم ولكنك لَم تجب، أين ذهبت؟"

يضحك ماتاري: "حتى إن لم يكن لدي وظيفة فلدي بعض الأشياء للقيام بها."

"مثل ماذا؟"

"التجول."

إنها تضحك بشكل لطيف: "ماتاري، ماذا تفعل بينما تتحدث معي على الهاتف؟"

"أنا مستلقٍ على المكتب أحاول أن أتخيل وجهك."

"لا تفعل ذلك، فوجهي ليس جميلًا."

"لكني أحب النساء الجميلات."

"حسنًا إذًا، يمكنك أن تقول أنني جميلة، لا أريدك أن تكرهني."

يعم الصمت لفترة من الوقت، ثُم يسأل ماتاري: "ما الذي تفكرين به؟"

"لا شيء، هل تريد مني أن أغني لك؟"

"نعم، من فضلك."

تهيئ المرأة صوتها للغناء ثُم تغني أغنية حزينة جميلة بصوتها الناعم.

يقول لها ماتاري بعد أن انتهت من الغناء: "لطيفة جدًا."

"شكرًا لك." وأغلقت الهاتف.

بات "ماتاري" يحلم طوال الليل بصوت المرأة الجميلة، يستيقظ في وقت مبكر أكثر من المعتاد وينتظر رنين الهاتف، لكن الأمر ليس كذلك، ماتاري يتجول في الغرفة بلا هوادة، ثُم يضع جسده على المكتب ويصل إلى الكتاب الذي قرأه سبع مرات، يقرر قراءة الكتاب مرة أخرى، اليوم يمضي ببطء شديد. في حوالي الساعة 7 مساءً يرن الهاتف يجيب "ماتاري" على عجلة من أمره.

"مرحبًا، ماتاري؟"

أجابها ماتاري بحدة: "مرحبًا: أين كنتِ؟"

يبدو صوت المرأة يرتجف: "ما الخطب؟"

"لقد انتظرت مكالمتك لمدة يوم، حتى أنني لم أحصل على الطعام على الرغم من أن لدي بعض المال."

"أنا أتصل بك كلما أردت، أنت..."

"أخبريني متى ستتصلين، لا استطيع تحمل الانتظار."

"أنا أسفة جدًا، منذ غد أعدك بأنني سأتصل بك كل صباح وليلة."

"حسنًا."

"لَم أتمكن من الاتصال بك ذلك اليوم."

"لماذا؟"

"أردت أن أعرف إذا كنت تشتاق لمكالماتي"

" "يا لكِ من متلاعبة، الآن أغلقي الهاتف، سآكل أي شيء، أنا أتضور جوعًا."

"حتى متى؟"

"نصف ساعة."

عاد "ماتاري" قبل نصف ساعة، لَم يمضِ وقت طويل بعد أن رن الهاتف مرة أخرى، يتحدث "ماتاري" والمرأة على الهاتف لفترة طويلة، ثُم يسألها أن تغني نفس الأغنية مِثل البارحة، تضحك وتغني له.

الآن، فهي تتصل بماتاري بانتظام في ساعات معينة، يتحدثان في بعض الأحيان على الهاتف لساعات، لكن "ماتاري" لَم يطلب اسمها أو رقمها، في البداية، يحاول

تخيل شكلها ، لكنه يعتقد الآن أن الأمر لَم يَعُد مهمًّا. يمثل صوتها كل شيء - وجهها، جسدها، وروحها.

في أحد الأيام سألته المرأة، ماتاري، هل وقعت في الحب من قبل؟"

"لا."

"لما لا؟"

فجأة يشعر "ماتاري" بالحزن، "للإجابة على هذا السؤال، يجب أن أخبركِ عن قصة حياتي كلها وسوف يحزنني ذلك لأنه لا يوجد شيء جميل واحد بقي في ذاكرتي."

"إذًا لا ينبغي عليك ذلك، لا أريدك أن تحزن يا ماتاري."

لقد مر أسبوع، في يوم كئيب يتلقى "ماتاري" مكالمة من صديقه الذي أعطاه الغرفة قال إنه سيعود بعد ثلاثة أيام، تتصل به المرأة، يخبرها بلحن حزين، "سينتهي حظّي قريبًا."

"لماذا ؟"

"صديقي صاحب هذا المكان سيعود بعد ثلاثة أيام."

"لكن لديك صديق آخر لديه هاتف، أليس كذلك؟"

"أجل، لكنني لا أريد أن أعطيك أرقامهم."

"لما لا؟"

"أشعر بالغيرة، لا أريد أن يسمع رجل آخر صوتك الجميل."

تضحك وتقول له: "استمع، في اليوم الذي ينتهي فيه حظك، سأخبرك باسمي ورقم هاتفي."

يختفي حزن "ماتاري" مثل الغبار في المطر، يحاول مرة أخرى أن يتخيلها لكنه يفشل، فقط صوتها الناعم يتردد في أذنه، فقط ينتظر لبضعة أيام، وسوف يكون قادرًا على رؤيتها.

عندما اتصلت به في الصباح، أخبرها "ماتاري"، " أنا أريد أن أراكِ، هل يمكن أن تخبريني عن عنوانك؟"

"يمكنك أن تراني في أي وقت، وحتى اليوم."

"لا، ليس اليوم، أريد أن ألتقي بكِ بالملابس المناسبة، سوف اقترض من صديقي عندما يعود."

ضحكت وقالت له: "أنت صبياني للغاية. بالمناسبة، لن أتصل بك لمدة يومين."

"ما الأمر؟"

"سأذهب في عطلة مع عائلتي. فقط لمدة يومين."

لَم يخرج "ماتاري" في ذلك اليوم، ففي الصباح بعد إصابته بالحمى يعتقد أن هذا قد حدث لأن الشعور بالملل قد أصابه لأنها لَم تتصل، في فترة ما بعد الظهر تزداد حدة الحمى سوءًا يشعر وكأن جسده محترقًا وعيناه حمراوين. إنه يشعر بحرارة شديدة تجعله مستلقيًا على المكتب، يشعر بالعطش الشديد ويؤلمه صدره، إنه مرهق جدًّا، فهو بالكاد يتنفس.

تزداد الحمى سوءًا في تلك الليلة لدرجة أنه يهذي، يتصرف كما لو كان يتحدث مع تلك المرأة على الهاتف.

في اليوم التالي، تزداد حالته سوءًا. يسمع بعض الأصوات تطن في رأسه كما لو أن هناك آلاف الهواتف التي ترن في نفس الوقت. عندما يرن الهاتف فعلاً، لا يسمعه "ماتاري". يحتفظ الهاتف بالرنين لبعض الأوقات، مرارًا وتكرارًا.

مرة واحدة، أصبح كل شيء واضحًا. يستطيع "ماتاري" سماع رنين الهاتف، يحاول أن ينهض ويصل إلى الهاتف.

يديه ترتعش وفمه جاف.

يمكنه سماع صوت المرأة الناعم، "مرحبا، ماتاري، كيف حالك؟"

يبدو صوت ماتاري منخفضًا جدًا،"نعم، إنه أنا ..."

"مرحبا؟ لا أستطيع سماع صوتك."

يحاول ماتاري أن يقول شيئًا ما لكنه لا يستطيع نطق كلمة. إنه ضعيف جدًا.

تقول المرأة مرة أخرى: "رجعنا إلى المنزل بشكل أسرع من خطتنا من قبل، اتصلت بك عدة مرات لكنك لم تجب. أين ذهبت؟"

يشعر "ماتاري" بالدوار يمكنه رؤية العديد من النجوم.

"ماتاري، ما الخطب؟"

بجهد كبير، يقول بتردد: "لقد انتهى حظي ..."

بدأ "ماتاري" يسعل ويقطر الدم من فمه حتى ذقنه.

"هل أنت بخير؟ أرجوك سجل رقم هاتفي 5404641، اتصل بي في الصباح بالمناسبة اسمي "بيانجلالا بيرو"، يجب أن أذهب الآن سأشتاق إليك."

أغلقت المرأة الهتاف لم يستطع "ماتاري" أن يقف سقط فاقدًا الوعي، ولا يزال مستلقيًا على المكتب، يقطر الدم من فمه.

خِنْجَر داخل جسدي

مناجاة النفس (يوسف):

بعد تسعة أشهر وتسعة أيام في رحم والدتي، ولدت بخنجر داخل جسدي، كان خنجر مع تسعة منحنيات.

كان والدي هو الذي رآهم لأول مرة، قبل ثلاثة أيام من ولادتي، وبعد ظهر يوم جفاف وصامت في مستشفى المدينة كانت والدتي مستلقية على السرير، والدي الذي لَم يَنم طوال الليل في الليلة السابقة كان يجلس نائمًا إلى جانبها.

في البداية، كان مجرد دخان، كان هناك طبقة رقيقة من الدخان الذي يتكثف ببطء ثُم جعل الغرفة ضبابية والرؤية غير واضحة، اعتقدت أمي أن السبب في ذلك هو أن والدي الذي كان يدخن سجائر التبغ المصنوع من القرنفل - يشعل سيجارة في تلك الغرفة البيضاء المعقمة، لكنه لَم يفعل، كان الدخان يزداد سماكة بدأت أمي تشعر بالخوف ثُم صرخت على أبي لإغلاق الباب، نهض والدي ومشى نحو الباب ولكن فجأة توقف مع وجه شاحب.

لقد رأى مشهدًا غير عادي. في الغرفة الضيقة، بين الدخان ودهشته، كان يرى رجلًا عجوزًا يرتدي ثيابًا ويقود مجموعة من الرجال العاريين من الصدر بملابس

قديمة مثل بعض الجنود من المملكة الجاوية القديمة، أحضر واحد منهم صينية عليها خنجر.

شعرت أمي بصدمة شديدة وصرخت عندما وضع الرجل العجوز ذو المظهر الحكيم والعمامة البيضاء الصينية بين فخذيها. ثُم اختفى الخنجر قبل أن تصرخ والدتي كما لو كان يمتص ذلك رحمها. ثُم اختفى المشهد المدهش وضباب الدخان، وولدت بعد ثلاثة أيام.

في الليلة الممطرة عندما سمِعَت آخر أذان - في دعوة للصلاة - ولم يكن هناك نجم في الليل المظلم، ولدت. لقد همس والدي الأذان في أذني اليمنى وإقامة الصلاة في أذني اليسرى. لكنهم يعتقدون أن هناك خنجرًا في جسدي، وهم يعتقدون أيضًا أنها علامة.

قالت والدتي أنني لَم أبكِ عندما ولدت للتو في هذا العالم، صرختُ مرة واحدة فقط وبعد ذلك التزمت الصمت بزوج من العيون المفتوحة بشكل واسع كما لو كانت قادرة على التقاط الضوء، قاموا بقطع المشيمة ووضعوها في جرة الطين الصغيرة ثُم دفنوها في الفناء الخلفي لمنزلنا.

في اليوم السابع بعد ولادتي، أعطاني والدي اسمًا بحفل تقليدي، قالت والدتي إنهم تجمعوا في تلك الليلة ورددوا لهجة بلغة الكتاب المقدس، حملني والدي وسار حول الناس الذين تجمعوا في منزلنا، ووقفوا في دائرة، الرجال في الصف الأمامي، والنساء وراءهم. ثُم قاموا بقص شعري ووزنه بالذهب، بين الضحك والمرح والمحادثة الحميمة، كانوا يقيمون الحفلات، ويأكلون الكباب الإندونيسي من لحم الماعز والكاري الحار.

في هذه الأثناء جدي - والد أبي - الذي كان دائمًا يرتدي عمامة سوداء وله

شعر أبيض، لمس وجهي بهدوء ومحبة وتلا بعض الآيات من سورة يوسف من القرآن، قالوا: إن ذلك سيجعلني محبوبًا من قبل الإنسان وأحصل على الجينات مثل النبي يوسف، فسوف يحبني الرجال كصديق جيد، والمرأة سوف تحبني كمحب كبيرمثل زليخة التي خانت زوجها بسبب جنونها بالنبي يوسف، الجينات الصالحة ستحميني من أفعال الشر الجينية الدنيئة.

لكنني لست النبي يوسف رغم أن والدي قد أطلق علي اسم "يوسف مارتاديلاغا" إن "يوسف" هدية من أبي، و"مارتاديلاغا" هو اسم عائلتنا الذي ورثته عن والدي وجدي وجدي الأكبر، لَم تشارك والدتي في ذلك، ففي تقاليدنا، تسمية الطفل ليس من شأن النساء، لا يجوز لهم سوى الحمل والولادة ولكن دون إعطاء اسم، قد يرثون اسم والدهم فقط أو يستخدمون اسم زوجهم أو يستعيروا اسم ابنهم للنداء فقط.

لقد سموني "يوسف" ولكني لست نبيًا، أنا رجل بخنجر داخل جسدي، عندما كنت طفلًا كانوا يعلموني الصلاة جيدًا لكن بينما أكبر أصبح من المعجبين بالموسيقي "جيم موريسون" ومولع بشاعر مجنون مثل "ديلان توماس"، عندما كنت طفلًا، قرأت القرآن، لكن بينما أكبر أميل إلى قراءة الكتب المحرمة من قبل "ماركس" و"تروتسكي". عندما كنت طفلاً، كنت أشرب ماء زمزم المقدس، لكن بينما أتقدم في العُمر، أفضل شرب الفودكا.

مناجاة النفس (ولان):

لقد كان القمر مكتملًا عندما ولدت، لم يكن هناك سحابة أو مطر، تتلألأ النجوم في السماء المظلمة كما لو كانت تغمز وتضحك بسعادة. إن "ولان راتري"

هو اسمي. وهذا يعني "القمر في الليل" أنا مثل زهرة جميلة لأبي ولكن أمي كانت تستاء مني.

لقد كنت أنادي والدي بابا كان الطفل الوحيد لعائلة "بوغينيس" النبيلة من "ماكاسار" الذي تزوج من سيدة ساندانية جميلة، كان والدي موظفًا متواضعًا، لقد ورثت مظهري الجميل من ملامحه لكن والدتي كانت تشعر بالغيرة مني، لدي خلد على جبهتي بين عيني، لقد نشأت كفتاة جميلة تجعل الكثير من الرجال يقعون في حبها، فلدي نظرة خطيرة للغاية، وكانت ابتسامتي ساحرة.

لقد تزوجت من ابن رائد عسكري عندما كنا في الكلية، إن زوجي ليس وسيمًا ولكن جسمه مبني جيدًا، لديه كل شيء لأن والده رجل غني وقوي، ليس من الضروري أن يكون ذو مظهر جيّد، أو ذكي، أو متعلم جيدًا طالما أن والده يتمتع بالقوة والثراء، لديه كل شيء، وكل شيء جاهز له.

تركت دراستي لكن حفل زفافنا كان باهظًا مثل حفلة الملك، فقد كان هناك العديد من الضيوف والهدايا الفاخرة، نحن لا نهتم كثيرًا بالحب، فأنا فقط أعيش حياتي، ثُم صرت حاملًا، وقال كثير من الناس إن الأمر جعلني أبدو أجمل وأكثر إشراقًا.

لقد ولدتُ فتاة وقد أفسدها كثير من الناس منذ أن كانت طفلة صغيرة، كان والدها يمتلك شركة، كهدية من والده، لقد كنت أم شابة، وزوجة غنية مرحة كانت حياتي فاخرة للغاية دون الحاجة إلى العمل، لَم يكن لدي شيء أفعله سوى انتظار زوجي حتى يعود في الليل، هل كنت سعيدة؟ لَم أكن أعرف لكن أبي وأمي كانا سعدين، إنهما فخوران بي ويزدادان ثراءً بسبب زواجي.

أصبح زواجي روتيني وجعلني أشعر بالملل، سنة بعد سنة مرّ بأوقات جيدة

وأوقات سيئة، أعيش في ثراء ولكني كنت حزينة لأن زوجي كان مشغولًا للغاية مع نفسه وعمله، لذلك حصلت على التعويض الخاص بي، كنت مشغولة بنفسي أيضًا لدينا حياتنا السرية المنفصلة.

أنا زوجة رئيس عمل وكنة رائد عسكري لذا يجب أن أتمتع بأداء جيد أمام الكثير من الناس يجب أن أقدم نفسي بشكل جيد في كل مناسبة احتفالية. اضطررت لإظهار جمالي، ومجوهراتي، وحتى التظاهر بابتسامة سعيدة في الأماكن العامة لإرضاء زوجي وعائلته المحترمة كنت زوجة مرحة لرجل حزب ذهبت إلى الحفلات، وذهبت للتسوق، وفي بعض الأحيان سافرت إلى الخارج، كل شيء جاء مجانًا دون عمل الأموال تتدفق بسهولة.

لكن في النهاية شعرت بالملل، تبدو حياتي فارغة، أحيانًا تدهشني ابتسامة ابنتي اللطيفة، لكنها كانت أقرب إلى مربيتها مني رغم أنها لَم تعُد طفلة، هي في روضة الأطفال الآن، إنها تأخذ أيضا العديد من الدروس الإضافية مثل درس البيانو، درس الباليه، درس الحساب، وأكثر كثير ليس لأنها تحب ذلك ولكن من أجل جعل والدها فخورًا وكذلك جعل جدها وجدتها.

كنت غير مرتاحة، أُريد أن أكون سعيدة وأن أستمتع بحياتي بمرح، تجولتُ في متاجر الملابس ومراكز اللياقة البدنية ومراكز علاج الوجه والجسم والمنتجعات باهظة الثمن، التقيت وتصادقت مع العديد من الزوجات الشابات اللواتي يتمتعن بنفس المصير.

لكنني لَم أخون زوجي أبدًا، لَم أكن أبدًا غير مخلصة، كنت خائفة من ارتكاب الخطيئة، كنت خائفة من نار الجحيم.

حتى جاء ذلك اليوم، قدمتني الآنسة "لاراساتي" - عارضة الأزياء السابقة

- إلى شاب في عرض أزياء ساحر، قالت إنه صحفي، شعره طويل نوعًا ما لكنه يبدو لطيفًا، عيناه الجميلتان بنيتان وحادتين، لقد كان شجاعًا وحسن الخلق، لقد وجدت أن ابتسامته كانت جميلة جدًّا، لَم يكُن جسده مبني بشكل جيد مثل زوجي لكنه وسيم للغاية، أنا أعرف الكثير من الرجال الوسماء لكنه كان مختلفًا، شيء ما في ابتسامته جعلني مفتونة به، فقد جعلني أشعر أنني ما زلت مراهقة، يا إلهي لماذا قادني الشيطان إلى هذا الإغراء؟ هل وقعت في حبه!

اسمه "يوسف مارتاديلاغا" لكنني ناديته "يوس"، هناك شيء ما في شخصيته يجعلني أشعر بالراحة والسعادة بجانبه، لقد قال أن هناك خنجر صغير داخل جسده. بالطبع، كان يمزح معي فقط، وكنت فقط أضحك على كلامه، ولكن عندما أكون بجانبه، يبدو قلبي وكأنه مثل الزهرة المتفتحة وأشعر بالسعادة العارمة، فقد أثارني للغاية.

يا إلهي، هل سأكون مذنبة إذا وقعت في حبه؟

مناجاة النفس (يوسف):

جعلنا الحب مثل زوج من الحيوانات البرية، كل هذا حدث بسرعة كبيرة منذ اجتماعنا الأول، لَقَدْ تعرّفنا عن طريق صديق، وكان لدينا دردشة لطيفة، فقد اقتربنا بشكل أوثق، وقمنا بتحديد موعد، وبدأنا نحاول أن نجد فرص لرؤية بعضنا البعض سرًّا، في البداية، كنا نتجول، تناول العشاء الرائع، نذهب إلى المسرح والسينما، قبلنا بعضنا البعض، ثُم نِمنا معًا.

أنا لست بريئًا تجاه النساء، يجعلني ذلك الخنجر مثارًا أغلب الوقت وأصبح لدي قدرة خاصة على جعل العديد من النساء يقعن تحت تعويذة الحب الخاصة بي، في بعض الأحيان، أكون أنا من يجذبهم، وفي أحيان أخرى، كانت النساء هي

التي تغريني، كما قلتُ من قبل، لَم أكُن النبي يوسف الذي يستطيع مقاومة رغبة زُليخة الجميلة، لا أعرف بالضبط عدد النساء اللواتي يأتين ويذهبن في حضني، لكن هذا مختلف، أنا حقًّا أقع في حبها.

دعتها "ولان"، لا يهمني من هي، أنا أعرف فقط أننا نحب بعضنا البعض، والحب ليس خطيئة.

مناجاة النفس (ولان):

الليلة هي التاسعة والتسعون منذ أن التقينا، فأنا أجد الجنة بجانبة، وهذه الليلة هي الليلة الثالثة التي أقمنا فيها هنا، زوجي يسافر للخارج لا أعرف بالضبط أين ذهب، ربما إلى الصين أو روسيا، قال إنها رحلة عمل لكنني لا أهتم، لذلك ذهبت إلى شاطئ جميل، أستمتع بالجنة السرية مع حبيبي.

عندما وصلنا للتو في الصباح قبل ثلاثة أيام، استقبلنا قوس قزح في الأفق. قاد "يوسف" سيارة زوجي ببطء، كان هناك القليل من المطر يبلل الأرض عندما قبل شفتي وهو يوقظني من نومي القصير وهمس بأذني.

"انظري إلى قوس قزح ..."

يا إلهي، لقد مضى وقت طويل منذ آخر مرة أرى فيها قوس قزح وخاصة قوس قزح مزدوج مثل هذا، زوج من سبعة أقواس ملونة على البحر الأزرق، هذا أجمل قوس قزح رأيته على الإطلاق.

"نحن في استقبال الملائكة"، أقول له وأبتسم بسعادة عندما أتذكر قصة عن سبعة ملائكة تنزل إلى الأرض باستخدام قوس قزح كسلّم.

ثلاثة أيام نتمتع بها في الجنة معًا. مشينا حافيين القدمين على الشاطئ، لعبنا مع الأمواج، بنينا قصر الرمال، طاردنا بعضنا البعض على الشاطئ، سبحنا معًا،

بحثنا عن الأسماك الصغيرة، جمعنا القواقع، تناولنا المأكولات البحرية الطازجة في سوق السمك، شربنا ماء جوز الهند مباشرة من الفاكهة، ركبنا الدراجة جنبًا إلى جنب على الرمال البيضاء، تجولنا في زورق آلي، ابتسمنا بحرية، وضحكنا بسعادة ونحن تستحم معًا، وجعلنا للحب ليالي مجنونة وأيامًا لا مثيل لها.

والليلة، ينام أمنًا بجواري إنها الليلة الثالثة لنا هُنا، خلال الأيام الثلاثة الماضية تبادلنا الحب عدة مرات، مرارًا وتكرارًا. لقد أثارني حُب "يوس"، فقد علمني الكثير من الأشياء الجديدة التي اعتبرتها من المحرمات وحتى من المستحيل تصورها، لقد جعلني أفعل أشياء كثيرة لَم أفعلها مع زوجي من قبل، لقد جعلني مجنونة - مجنونة به- كشف الحجاب عن العديد من الأشياء السريّة التي لا يمكن تصورها بالنسبة لي، إنه يعرف أشياء كثيرة ويتمتع بخبرة كبيرة، أخبرني عن "كاماسوترا" - الكتاب القديم- لفن تبادل الحب لقد جعلني مرتاحة وسعيدة جدًّا معه.

لقد جعلني خارج نطاق السيطرة، لا أكترث بعد الآن لكلام والداي عن العلاقات بين الرجل والمرآة منذ مراهقتي، ولا يهمني زوجي المشغول والأناني الذي اعتبرني مجرد كائن هش في مملكته السخيفة، مثل الزخرفة الكريستالية، لقد نسيت ابنتي الوحيدة بين مربياتها والأشياء الفاخرة في مملكة والدها الهشة، لا يهمني بعد الآن الخطايا والجحيم؛ هذا فقط لأنني في حالة حب.

يا إلهي، هل هي خطية أن تقع في الحب؟

مناجاة النفس (يوسف):

إن الليلة هي الليلة الأخيرة في غرفة فندق مريحة على الشاطئ، غدًا سنعود مرة أخرى إلى الحياة اليومية المليئة بالأعصاب المتوترة، لقد استيقظت في منتصف الليل وهي تنام بجانبي أستطيع أن أرى جسدها العاري داخل البطانية الرقيقة

في الضوء الخافت ينزل شعرها الناعم على جبينها، وهناك ابتسامة جميلة منحوتة على شفتيها.

أنهض وأرتدي ملابسي ثُم أمشي باتجاه باب الشرفة وافتحها، تهب الريح وأستطيع أن أشم رائحة الشاطئ، أتقدم وأقف وسط صمت الليل، أرى مصباح قارب الصياد يتلألأ بعيدًا في البحر، تطارد الأمواج بعضها البعض في البحر الواسع.

أحيانًا أخاف البحر، فهو يذكرني بالموت، والموت يخيفني لأنه يجب أن يحدث لجميع المخلوقات على الرغم من أننا لا نعرف الغموض الذي يكمن وراءه، ماذا سيحدث بعد موتنا؟ هل هناك جنة هناك؟ أم أن هناك جحيم؟ ما هي الخطيئة؟

تهب الريح مرة أخرى حاملة رائحة الشاطئ والليل، ما زلت أقف في منتصف صمت الليل وأرى وميض مصباح قارب الصياد بعيدًا.

إن الشاطئ فارغ وهادئ، ليلة مظلمة وبادرة، لكنني لا أشعر بالبرد لأني في حالة حب.

ملحوظة:

يسمى الخنجر "كريس" في اللغة الجاوية التقليدية، فهو يحتوي على منحنيات لها دائمًا أرقام غريبة مثل سبعة أو تسعة. فمثلًا، "كريس" مع تسعة منحنيات يرمز إلى أن المالك لديه كاريزما كبيرة.

رَجلٌ مجنون

يدعونني الرجل المجنون، ربما بسبب شعري الطويل والفوضوي، أو لأنني أبدو قذر ومتسخ، أو لأنني أتجول طوال اليوم في شوارع المدينة هذه منذ سنوات عديدة، أو لأنني مختلف عن الأشخاص العاديين المزعومين، أو ربما يكون الأمر ببساطة لأنني أبدو مثل رجل مجنون، في الواقع أنا أسعد شخص على قيد الحياة في هذه المدينة، على الأقل أنا أسعد من أولئك الذين يعتقدون أنفسهم كأشخاص عاقلين ويصفونني بالجنون، أنا رجل حُر لديه امتياز لفعل أي شيء أريده لا يهمني أن أفكر في أيِّ شيء سخيف مثل الطريقة الجيدة أو أن أعيش في نفاق مثلهم، حياتي هي حياة سعيدة، مع عدم وجود عبء، أعيش بحرية مثل الطيور، بالطبع الطيور التي يمكن أن تطير بحرية مثل النَّسر، وليس الطيور المحبوسة بقفص من الحديد، هل تعتقد أن أي شخص أكثر سعادة من شخص يمكن أن يعيش دون عبء ولا يستطيع أن يفعل سوى أن يحلم مثلي؟

أنا أضحك بحرية، أغني، أصرخ، أبكي، أقفز، أو حتى ابتسم بدون سبب يقولون أني مجنون، أليس كذلك؟ رجل مجنون يمكن أن يفعل أي شيء دون عقاب، إن الله والدولة يغفران للرجل المجنون. يمكن للأشخاص البالغين فهم الرجال المجانين، الأطفال فقط لا يمكنهم ذلك إنهم يحبون السخرية من المجانين كما لو أن المجانين

ليسوا أشخاصًا بالغين يستحقون بعض الاحترام، في بعض الأحيان يرمون الحجارة الصغيرة على الرجال بفرح دون الشعور بالذنب.

أتذكر عندما كنت طفلًا، كانت هناك امرأة مجنونة تمرُّ في الزقاق أمام منزلي كانت تُدعى "أمينة"، أو هذا ما قاله الناس عن اسمها، كان جسدها قذرًا جدًّا وقد تكون رائحته سيئة للغاية، وملابسها متسخة، في بعض الأحيان يظهر ثديها المترهل داخل بلوزتها الرثّة، كانت بلا أسنان تقريبًا وكان شعرها طويل وقذر، عندما اجتازت الزقاق، كان بعض الأطفال في منطقتي يلاحقونها دائمًا ويسخرون منها ويضحكون عليها. في بعض الأحيان ألقوا بها الحصى أو الحجارة الصغيرة، بالطبع جعلها ذلك غاضبة منهم وتطاردهم بشراسة.

لَم أنضم إليهم أبدًا في السخرية منها، كنت أشعر بالشفقة عليها نظرت إليها سرًّا وبصمت من شرفة غرفة أمي حتى ذهبت، إذا علمت جدتي بهذا فسوف تمنعني من رؤية تصرف المرأة المجنونة، ربما كانت جدتي قلقة مني أو تستاء منها فأنا لا أعرف.

إن طريقة خادمة أمي مع شخص مجنون مثل "أمينة" قصة أخرى، كانت امرأة في منتصف العمر، كانت تتحدث معي بقسوة عندما لم تكن والدتي موجودة، كانت تستخدم أحيانًا المرأة المجنونة لتخويفي وأنا وأختي الصغيرة من أجل إطاعة ما أخبرتنا أن نفعله كما يجب مثل أن نتناول الغداء أو نأخذ القيلولة، ظنت أننا أطفالًا أغبياء، لكنني علمت أن الأشخاص المجانين ليسوا خطرين إذا لم نزعجهم.

اعتقدت أن شخص مجنون مثل "أمينة" هو الشخص الوحيد الذي يحب ويستمتع بالوحدة. لقد استمتعت بالوحدة والسعادة لتكون مع عالمها الصغير

الخاص. عالمها هو عالم لا يحتاج إلى أشخاص آخرين أو شيء ما عدا نفسها وأي شيء تعتقد أنه موجود، إنها تزعج الآخرين فقط إذا كان عالمها منزعجًا من الآخرين.

لكن أختي الصغيرة كانت خائفة من الناس المجانين، إذا كنت في حالة مزاجية لمضايقة أختي أحيانًا أخيفها أيضًا ب"أمينة" المرأة المجنونة، كانت خائفة جدًّا من "أمينة"، تخاف أختي إذا ابتسمت المرأة لنا بالصدفة بينما نلقي نظرة عليها من خلف الشرفة في غرفة أمي، كانت فرصتي لأبكيها، يجب أن أخيفها أكثر قليلًا بالقول إن "أمينة" ستصعد إلى مكاننا وتقبلها، بالطبع ستكون خائفة للغاية ثُم تبكي.

أليس هذا صحيح؟ هذه الحياة جميلة جدًّا، كما قلت أنا حر في عدم القيام بأي شيء سوى الحلم وتخيل أي شيء في ذهني، لست بحاجة للذهاب إلى المدرسة أو الكلية، لست بحاجة للذهاب إلى العمل، فقط استمتع باللعب يا إلهي، كم أنا سعيد.

إن الناس غالبًا ما يخطئون، فعقولهم ضحْلة جدًّا، في كل مرة يرون فيها أشخاصًا في الشارع يلبسون ملابس متسخة وغريبة مثل ملابسي، يتهمونهم بالجنون، لكن في بعض الأحيان لا يكون رثُّ الملبس مجنونًا، فالجنون مختلف كليًا، نعم، في بعض الأحيان تجد إنسانًا رثَّ الملبس ولكنه ليس بمجنون والعكس صحيح، لكن كونه رثَّ الملبس ومجنونًا في الوقت ذاته فهذا مختلف بعض الشيء، كثير من الناس الذين يظهرون بمظهر مُتهالِك في الشارع لديهم عقل كبير للغاية، ومن ناحية أخرى، كثير من الناس الذين يرتدون ملابس جيدة والذين يعيشون في منازل جميلة ويركبون السيارات باهظة الثمن حقا يتمتعون حقًّا بالجنون وربما يكونوا مختلين عقليًّا.

هناك متسولون يدعون الجنون، إنهم يفعلون ذلك حتى لا يخجلوا من العيش حياة رهيبة في الشارع، أو تناول وجبة قذرة من صناديق القمامة، أو ارتداء الخِرَق القذرة، أو حتى النوم في أي مكان.

هل تعلم أن الشعور بالخجل في بعض الأحيان أمر فظيع للغاية بالنسبة لبعض الناس؟ بالتظاهر أو التصرف كالمجانين، لن يشعروا بالخجل بعد الآن لأن الأشخاص المجانين يمكنهم فعل أي شيء. يتمتع الأشخاص المجنونون بامتياز ألا يخجلوا من أي شيء يفعلونه، إذا كان هناك رجل مجنون لا يزال يخجل مما يفعله يعني أنه ليس مجنونًا، ربما هو مجرد نصف مجنون.

ولكن في الواقع، لا يوجد أشخاص مجنونون يتصرفون مثل هؤلاء المتهالكين، ذلك لأن الناس المجانين لا يمكنهم التظاهر، الأشخاص المجنونون هم الأكثر صدقًا وإخلاصًا في العالم، ربما هذا هو السبب في أن الكثير من الناس يثقون بهم، هل تعلم أن الكثير من الناس يسعون إلى الإجابة عن أسئلتهم المهمة في حياتهم عن طريقهم؟ نعم، على سبيل المثال، يسألون الأشخاص المجانين عن العدد الذي سيفوز بجائزة اليانصيب.

الحديث عن الأشخاص المجانين يذكرني بالحب لأن الوقوع في الحب هو أكثر الأشياء جنونًا في هذا العالم. لكن هذا العالم الجميل والقاسي، بالطبع، سيكون غير جميل بدون حب، يقول الفرنسيون: ما هي الحياة دون الحب؟ الناس المجنونين قد يقعون في الحب، والناس الذين يقعون في الحب يمكن أن يكونوا مجانين، أنا شخصيًّا وقعت في حب امرأة مجنونة وأحبتني مجنونة أخرى.

قد يقع المجانين في الحبِّ والناس الذين يقعون في الحب يمكن أن يكونوا مجانين، أنا شخصيًّا وقعت في حب امرأة مجنونة وأحبتني امرأة مجنونة أخرى.

يبدو أن السائق القصير ذي قبعة القش لا يمكنه تحمل رغبته، فقد اقترب من المرأة وتحرش بها، واستمروا في مضايقتها لكنها لَم تهتم بذلك، حاولت تجنب رؤية المشهد، لكنني رأيت رجل قبعة القَش يرفع يدها ويجرها إلى زاوية مظلمة

بجانب مسرح السينما القديم، يمكنني سماع صراخها ولكن صوتها لكنه اختفي في أصوات ضحك السائقين وصوت تساقط الأمطار، لقد ارتعدت في الزاوية، وكان جسدي مبلل وعيني حمراء، لقد تحطَّم قلبي، لكن المطر كان لا يزال يسقط.

بعد ظهر يوم آخر في مكان آخر، عندما كنت طفلًا، وقفت أمام المدرسة بعد ظهور صورة لأيس كريم على نافذة زجاجية لمطعم، تحدثت أنا وصديق عن الصور الملونة التي بدت لذيذة، لَم أكن أدرك أنه من جانبي الأيمن، اقتربت مني امرأة عجوز وقبلت خدي بسرعة، لقد صُدمت وحدّقت فيها. ابتسمت، وكانت عيناها تتألق وكانت بلا أسنان، كانت ملابسها متسخة وغريبة، حسنًا يجب أن تكون هي: أمينة!

ذهبت من هذا المكان على عجل، ما زلت مصدومًا ومستاءً. على طول الطريق إلى المنزل أوبخ صديقي الذي لَم يخبرني عن وجود المرأة المجنونة، حاول الدفاع عن نفسه بجملة جعلتني أكثر غضبًا منه، "لكنني اعتقدت أنها صديقك!"

الوقت يمضي، أنا الآن في فترة ما بعد الظهيرة، أمشي في مكان آخر لقد استوعبت في أفكاري. أحيانًا أصفّر بسعادة، وأحيانًا ابتسم للأشخاص الذين أراهم، عدد قليل منهم يبتسمون لي، لكن البعض ينظر فقط لي بالدهشة أو حتى بالخوف، ربما اعتقدوا أنني رجل مجنون بينما أنا أسعد رجل في هذه البلدة، حسنًا أنا حقًّا رجل سعيد وحر.

مثل كلمات أغنية، أنا حُرّ لأنه ليس لدي ما أخسره ليس لدي شيء ولا أنتمي إلى شيء، لذلك أنا حُرّ بكل ما للكلمة من معنى، فكل ما لدينا يمتلكنا، أليس كذلك؟ إنهم يجعلونا غيرَ أحرار لأننا خائفون من فقدانهم، لذلك أترك كل ما أملك: الأطفال، الزوجات، العائلة، العشاق، الثراء، المستقبل، حتى الأمل.

ذهبت إلى الشارع، فأنا أعيش حياتي بحرية، لست بحاجة إلى صديق أو معارف، أنا أعيش بلا قواعد، لا أخاف من الفقر لأنني لست بحاجة إلى أي شيء مثل الدراويش، لست بحاجة إلى المال أو المنزل الفاخر أو السيارة الجديدة أو الأشياء الفاخرة أو الزوجة الجميلة أو العشيقة المثيرة، ليس لدي أيّ التزام بإعطاء رشوة للمسؤولين الحكوميين للحصول على مشروع كبير، لا حاجة لي للمشاركة في الفساد.

لا أحتاج لمنافقة رئيسي في العمل لأنني رئيس نفسي، لا يجب أن أعيش في النفاق لست بحاجة للخوف من أن أكون جائعًا لأنني أستطيع أن آكل أي شيء من أي مكان حتى من صندوق القمامة أو بقايا الطعام من أي مطعم، فهناك دائمًا أشخاص لطفاء يعطفون على المجانين مثلَ حالتي، ربما يكونون لطيفين معي لأنهم يريدون دخول الجنة في الآخرة أو ربما يفعلون ذلك للمتعة فقط.

لا أشعر بالإهانة فقد اتصل دعاني أحدهم رجلًا مجنونًا، إذا كنت مجنونًا، فأنا رجل مجنون مثقف على الأقل، فأعرف قصائد "دانتي" و"رامبو"، أستطيع أن أفهم لوحات "فان غوخ" و"دالي"، أحب موسيقى "موزارت" و"بيتهوفن"، أنا أعرف عن "فوكو" و"هابرماس"، وأفهم ما قاله "أينشتاين" و"هوكينج"، في بعض الأحيان كنت أتحدث مع الله عن سر الخلق، ليس في المسجد أو في الكنيسة ولكن في حديقة المدينة.

كم هي رائعة هذه الحياة، كم هو لطيف عالمي، أنا سعيد بعالمي الخاص، إن عالمي لا يحتاج إلى أي شخص أو أي شيء إلا أنا وأي شيء أتصوره موجود.

لكنهم لا يفهمون، يصبحون ضحايا لغبائهم، يدعوني رجل مجنون، ربما بسبب شعري الطويل والفوضوي، ربما يكون ذلك لأنني أبدو قذر وذو ملبس رثّ، ربما

يكون ذلك لأنني أتجول طوال اليوم في شوارع المدينة هذه منذ سنوات عديدة، ربما يكون ذلك لأنني مختلف عن الأشخاص العاديين المزعومين، أو ربما يكون الأمر ببساطة بسبب أنني أبدو كرجل مجنون.

لا يهُم، وجودهم لا يهمني، أنا حُر في الضحك، البكاء، الابتسامة، الغناء، الصراخ، القفز، أو أي شيء أريده دون سبب، مثل ظهر اليوم على هذا الجانب من الطريق، نحن نسير بفرح ونناقش السلام العالمي. نعم نحن، أنا وأنا.

تُمطِر في بوينس آيرس

إنها ليلة ممطرة في "بوينس آيرس"، وهناك موسيقى هادئة، أنا و "ناتاليا باستورينو" نرقص "التانغو" في غرفة غامضة في "إل بالكون"، وهو ناد في منطقة "سان تيلمو".

همست "ناتاليا" في أذني،"هناك حزن كبير في هذا البلد، ولكن عندما ترقص، سوف تنساه، سوف تتشبث بشريكك في الرقص، وبالموسيقى المخيفة، سوف ترقص بإخلاص، أنطونيو ..."

أنا مجرد مسافر من بلد بعيد، إن بلدي يعاني كارثة لا نهاية لها مثل الأرجنتين الخاصة ب"ناتاليا". بعد ذروة قصيرة من المجد الاقتصادي في أوائل عام 1990 التي خلقت "بوينس آيرس" من ثروتها، أسفرت أسوأ أزمة اقتصادية على الإطلاق في تاريخ البلاد أكثر من نصف مواطنيها وأسقطتهم تحت خط الفقر، لقد أصبح الناس عاطلين عن العمل وواجهوا الفقر، كانت المجاعة وأعمال الشغب في كل مكان، لنسيان عذابهم، بحث الكثير من الناس عن التسلية في الموسيقى ورقص "التانغو".

قابلت "ناتاليا" في "ميلونجا" في "إل بيسو". نظرًا لأن زوجها عاطل عن العمل في الأزمة الاقتصادية عندما أفلس صاحب العمل، فإن هذه المرأة ذات الشخصية

الجذابة تكسب المال من خلال العمل كمدربة "تانغو" لثلاث مرات في الأسبوع في "سالون كانينج"، الجزء الشمالي من "بوينس آيرس". أنا نفسي تعلمت "التانغو" و"السالسا" من رجل عجوز افتتح دورة للرقص في "جاكرتا". تبدو اللغة الإسبانية مثيرة للغاية في أذني وتعلمت الإسبانية من معلم خاص في السفارة المكسيكية. لمدة أسبوعين هنا، أتيحت لي العديد من الفرص لوضع كل ما تعلمته في اختبار، وهنا في الأرجنتين، يعني "التانغو" أيضًا إحياء ذكرى الحب المفقود والحزن الشديد، إن "التانغو" هو رقصة حب حزينة.

تذكرت بعد ظهر ذلك اليوم عندما قابلت "ناتاليا" لأول مرة، إنه "ميلونجا"، مهرجان "التانغو" المفتوح، تمامًا مثل "تايوبان" في مسقط رأسي في جاوة الشرقية، يمكن لأي شخص الانضمام، الرجال والنساء، سواء كانوا عازبين أم لا، يعرفون بعضهم بعضًا أو غرباءً كليًّا، يجلسون في مجموعات واحدة مقابل الأخرى مفصولة عن حلبة الرقص، يرتدي جميع الرجال سروالًا أسود وقميصًا أبيض، ويدخنون ويحتسون الشمبانيا وسط الحشود، جميع النساء يرتدين الكعب العالي، ويرتدين فستانًا طويلًا ضيقًا وأكتافهن عارية وأرجل طويلة مغطاة بجوارب داكنة اللون كان هناك رجلًا قد هز رأسه وابتسم لامرأة جالسة عبر طاولته، التقت أعينهم، وبدأت تلك المرأة بتهذيب تنورتها، في انتظار أيِّ شخصٍ ليصبح شريكها في الرقص، يختار الرجال وتنتظر النساء، من سوف يرقص مع من؟ لا أحد يعرف من هو شريكهم في الرقص.

اشتغلت الموسيقى، يتمايل الراقصون بكؤوس النبيذ يتحركان بسلاسة ويعانقان بعضهما البعض، ويرقصان "التانغو"، التي ترسمها الموسيقى يدفعها بيده كي تتحرك، كانت أرجلهم تتحدث مع بعضها البعض في صمت، متحالفة مع

بعضها البعض لتقرر إلى أين تذهب وتتجول تلتقي العيون، وتتقارب الأرجل واحد إثنان ثلاثة أربعة خمسة! يتدفق صوت "كارلوس غارديل" في "بوينس آيرس"، بأغنيتة الشهيرة.

لقد دفعها ببطء حتى يأخذ جسدها مسافة قصيرة ثُم تلتف وتواجه وجهه عن قرب: أنا هنا، انتقلت أقدامهم مثل اللوحة، بشكل جميل وغامض، يدفعها وتركض وراءه مثل الريح وأنها تقول له لا تتركني يتزامن مع دق الموسيقى، لقد انحنى عليها بظهر مقوس الظهر، تَم ضمها بين ذراعيه.

كل زوجين لديهما ثلاث دقائق قبل انتهاء الموسيقى ثُم سيتعين عليهما العودة إلى مقاعدهم وسيحل محلهم الأزواج الآخرون، في انتظار هذه الرقصات والموسيقى والاستمتاع بها، سيشرب الناس الشمبانيا إنها ببساطة طريقة جميلة للحداد: ينسوا بؤسهم بالهروب إلى رقص حسي، إلى الموسيقى التي رددت في بيوت الدعارة ذات مرة في مدينة "بورتينو" بنهاية القرن التاسع عشرالرقص. والموسيقى التي عزفها في البداية مهاجرون من أوروبا وإفريقيا للندم على ضياعهم بعد الرحلة الطويلة المؤلمة: آبائهم وأمهاتهم وموطنهم وشوارعهم التي ولدوا فيها. لقد غنوا عن كل الأشياء القاسية: فشل الحياة، الذكريات الحلوة القصيرة، الموت، الخيانة، والآلام. الآن أصبحت الموسيقى والرقص علاجًا لجميع الناس في "بوينس آيرس".

في "ميلونجا" في "إل بيسو"، رقصت "التانغو" مع "ناتاليا" لأول مرة، كانت هناك موسيقى، وشمبانيا، ونساء جميلات، ورجال محطمون، ورائحة العطور التي تحوم في الهواء مثل أغنية مغرية، هناك يمكننا أن نجد بعض معطرات الفم، الكولونيا، باعة السجائر، والواقي الذكري في المرحاض.

جسدان متحدان في رقصة حب حزينة، جسدي وجسد "ناتاليا" الدافئ، حاولت

أن تنسى المصائب المأساوية التي خانت حياتها، وتبحث عن العزاء في مرارة كلمات أغاني "التانغو"، وفي الوقت نفسه، حاولت أن أداوي قلبي من الحب المستحيل والقلب المكسور الذي بالكاد يحصل على الشفاء الذي تبلور في جرح أبدي.

تمامًا كما قالت لي بعد أن أصبحنا قريبين للغاية، فقدت "ناتاليا" معظم ممتلكاتها وأفراد أسرتها من الأزمة الاقتصادية في ذلك البلد. لقد أساء إليها زوجها العاطل عن العمل كثيراً بسبب الإحباط ثُم تركها محطمة القلب من أجل امرأة أخرى، في هذه الأثناء، في الماضي، كان والدها الناشط في حزب العمل الثوري في عداد المفقودين في عصر الطغمة العسكرية منذ سنوات، منذ أن كانت طفلة صغيرة، على الرغم من أنها فقدت كل شيء تقريبًا كانت تملكه من قبل، إلا أنها على الأقل تملك الموسيقى و"التانغو" لتهدئة نفسها.

انحرفت الأغنية عندما توحّدت جسدنا: الحياة ليست سوى جرح سخيف ... وبينما كان يقبل جبينها بعمق شديد، كان قد طعنها بالسكين أربع وثلاثين مرة...

رقصنا بالقرب من بعضنا البعض، برأس مرفوع وأقدام مشدودة والشهوة تغلي الوجوه، حاولت التركيز، كتفي الأيمن إلى أسفل، كوعي الأيمن إلى الأعلى، حاول ذراعي الأيسر أن يسترخي عند الاستيلاء على التعرق الرطب "لناتاليا"، إن جذعها الجميل متوجهًا إلى الأمام، وساقيها ممتدين.

تمامًا مثل ما قاله معلم الرقص الخاص بي منذ فترة طويلة عندما كنت أتعلم "التانغو": جذع المرأة يجب أن يوجه دائمًا مقدم إلى الأمام، مثبتًا في شريكها قد يتحرك الوركين، ولكن لا يمكن أن تميل من جانب إلى آخر كما في "السالسا"، يتحرك الجزء السفلي من الجسم إلى اليسار واليمين في حركة واحدة مثل اللوحة المصرية للرجال على جدران الأهرامات.

منذ يوم اجتماعنا الأول في "الميلونجا"، أصبحنا أقرب في بعض الأحيان نتجول معًا خلال الليل القاسي حول سوق المدينة - "ميركادو دي أباستو"، ونشاهد أفلام الحب في المسرح، ونأكل "السباغيتي" على جانب الشارع، ونشرب التكيلا في "بورتينو" - وهي منطقة ميناء في "بوينس آيرس"، حتى نشاهد مباراة كرة قدم بين "ريفر بلايت" و"بوكا جونيور". أحيانا نرقص "التانغو" في "إل بالكون" تمامًا مثل هذا المساء.

أدفعها ببطء حتى يأخذ جسدها مسافة قصيرة ثُم تدور وتواجه وجهي عن قرب، شفتي قريبة جدًّا من شفتيها. ارتدت، ركضت بعدي مثل الريح، نتزامن مع دقِّ الموسيقى، وأنا أنحني عليها بظهر مقوس. إنها تستسلم بين ذراعي مع ساق واحدة ممتدة، تتوقف الموسيقى، نحن نحدق في بعضنا البعض دون كلمة واحدة، أستطيع أن أرى شيئًا يلمع في عينيها.

ذات مرة عندما شاهدنا الفيلم الرومانسي ل"مودوفار" في "ميركادو دي أباستو" في ليلة باردة، كانت تهمسني بالإسبانية في أذني وسمعتها مثل أغنية لطيفة، "أنطونيو، هل سبق لك أن وقعت في الحب؟"

أدرت عيني من على الشاشة وحدقت بها، دائمًا ما تناديني "أنطونيو"، إنها الوحيدة تناديني بهذا الاسم، تذكرت أنه كان لأول مرة أرى هذا البريق في عينيها، لكن في ذلك الوقت لَم أجب عن سؤالها. أنا فقط ابتسمت وضغطت على يدها بهدوء.بينما نغادر "إل بالكون" بعد منتصف الليل، لا يزال الجو ممطر والشوارع رطبة. أمسك بكتف "ناتاليا" مشدودًا أثناء المشي، نسير جنبًا إلى جنب يخترق المطر الخفيف جسدها يشعر بالدفء أنا أنظر إليها، تبدو جميلة بهذا الوجه اللاتيني الجميل، عيناها جميلتان جدًّ وأنفها المدبب يبدو لطيفًا للغاية، لديها

جسم متكامل ومتعرج خلف معطفها، تبدو بشرتها برونزية، ينبعث من شعرها الأسود الروائح الطيبة.

هل وقعت في حبها؟ أنا فقط مسافر من بلد بعيد قابلتها بالصدفة في رقصة التانغو "ميلونجا"، نقضي على حزن بعضنا البعض ثُم نلهو معًا هذا كل شئ، لكن بالطبع، عاجلًا أم آجلًا سوف أتمكن من مواصلة رحلتي لا أعرف إلى أين، ربما سأعود إلى بلدي.

علاوة على ذلك، قبل وصولي إلى هنا بسبب الحظ السعيد، لا أعرف الكثير عن "الأرجنتين" باستثناء بعض الأسماء والأحداث في التاريخ: الطغمة العسكرية، الأشخاص المفقودين، حرب "مالفيناس"، "تشي جيفارا"، "دييغو مارادونا"، "غابرييلا ساباتيني"، "إيفيتا بيرون"، قصص "بورخيس" و"كورتازار"، وبعض الأخبار في الصحف والتلفزيون عن الأزمة الاقتصادية التي تحدث في هذا البلد قبل عدة سنوات.

قبل أن ننفصل أمام شقتها، فإننا نحدق في بعضنا البعض، مازلت أستطيع أن أرى اللمعان في عينيها، أحرك وجهي بالقرب من وجهها، حينها أستطيع أن أشعر بنفسها الدافئ عندما أغلقت عينيها وشفتيها متقاربة. شرعت في تقبيلها، في البداية، إنها مجرد قُبلة بسيطة على شفتيها، لكِن في النهاية كانت قبلة طويلة وحميميَّة.

أذهب إلى فندقي في "سان تيلمو" خلال الأمطار الغزيرة، أحاول أن أنسى البريق الرائع الذي رأيته في عيون "ناتاليا" وجسدها الجميل الدافئ، أتذكر قصة حزينة في الماضي قد جعلتني توقفت عن الإيمان في الحب في رأسي، لا يزال يمكنني تذكر أغنية التانغو: بلدي "بيونس آيرس"...

ملحوظة:

بعد حوالي عقد من مذبحة ما يقرب من مليون من المدنيين الإندونيسيين الذين اتهموا كمتمردين شيوعيين على أيدي القوات العسكرية والميليشيات في 1965-1966، استولت الطغمة العسكرية على السلطة في الأرجنتين. عندما حكموا في 1976-1983، كانت هناك سلسلة من عمليات الاختطاف والتعذيب والقتل السياسي للعديد من الناشطين والمدنيين الأرجنتينيين. لجنة المفقودين أو اللجنة القومية لإختفاء الأشخاص (Comisión Nacional para la Desaparicion de Personas، 1983-1984) ذكرت أنه خلال تلك الفترة اختفى حوالي 30.000 من الرجال والنساء. في عام 1995، قدم ضابطان عسكريان اعترافاتهم كشهود على عمليات القتل المنهجي التي ارتكبوها في الماضي.

نبذة عن الكاتب

ولد أنطون كورنيا في "باندونغ" بإندونيسيا عام 1974، وهو مؤلف ومترجم ومحرر، هذه هي أول مجموعة قصصية تُنشر باللغة الإنجليزية. كما كتب Dunia Tanpa Ingatan (عالم بلا ذاكرة: مقالات عن الأدب والقوة) و Ensiklope-dia Sastra Dunia (موسوعة أدب العالم). قام بترجمة كتاب "لوليتا نابوكوف" والعديد من الروايات والقصص القصيرة إلى الإندونيسية. يعمل حاليًا أيضًا كرئيس تحرير لشركة "سيرامبي"، وهي دار نشر رئيسية في "جاكرتا".

المحتويات

قطَّة على القمرِ 9
ليْل 15
أحلم النار 19
الحب حلو كما السُّم 21
زينيلدا 29
الموت يقترب 39
رَسمٌ لأمي 45
الحبُّ لا يموتُ أبدًا 55
الضَّبابُ 61
الحِجَابُ الأبيض 65
رَقْمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ 71
خِنْجَر داخل جسدي 81
رَجلٌ مجنون 91
تُمطِر في بوينس آيرس 99
نبذة عن الكاتب 107

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007